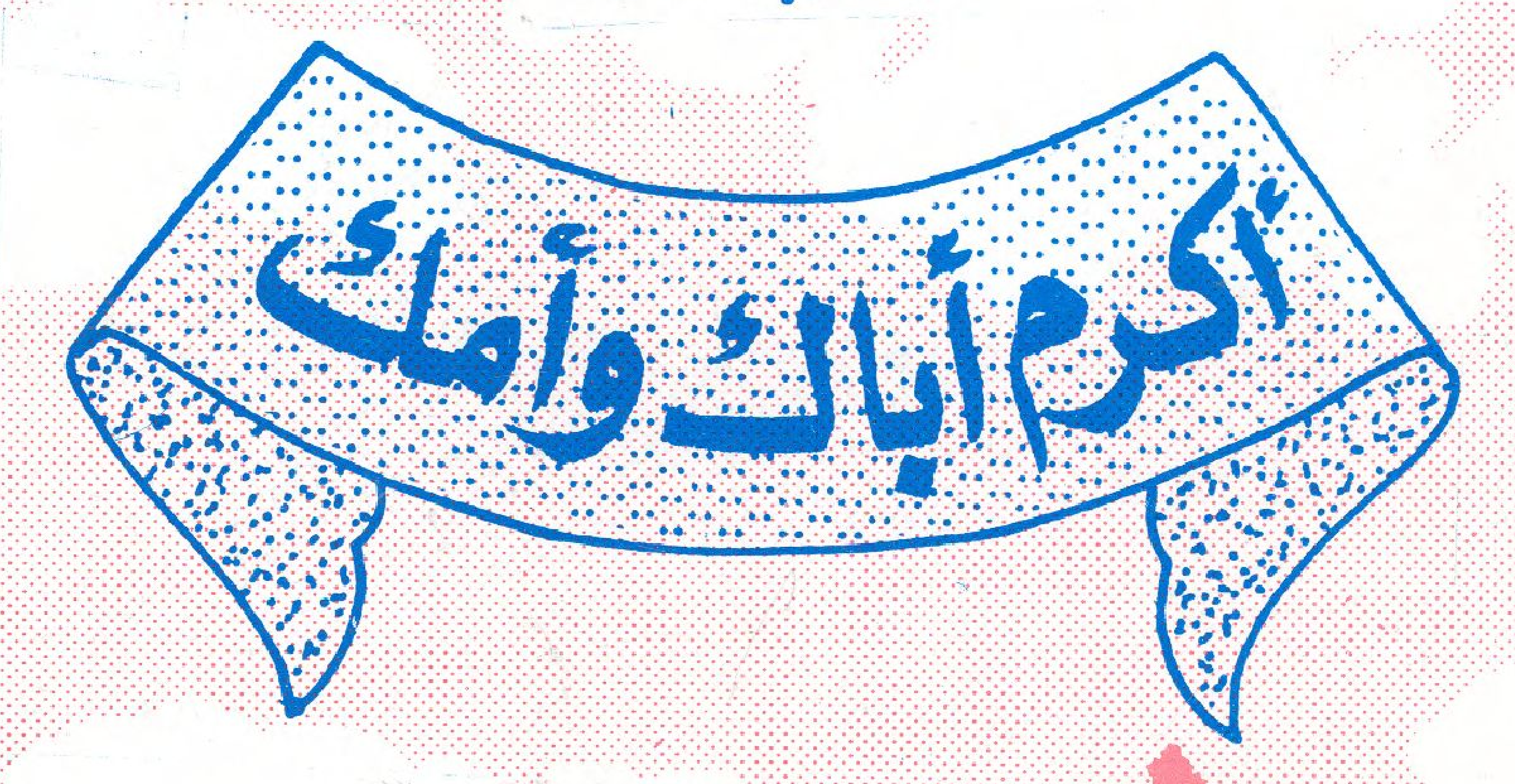
البابا شنوده الثالث

الوصايا العشر

الكتاب الثاني



البابا شنوده الثالث

الوصايا العشر فى المفهوم المسيحى

الكتاب الثانى

أكرم أباك وأمك

Contempsations On The Ten Commandments

2- The 5th Commandment

by H.H. Pope Shenouda III

10 th Print
April 1995
Cairo

الكتـــاب : إكرم أباك وأمك .
المـؤلـــف : قداسة البابا شنودة الثالث .
الطبعـــة : العاشرة ١٩٩٥
المطبعـة : الأنبا رويس - بالعباسية .
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٥٨٦ / ١٩٧٧ .



حضرة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تصـــدير

لم تكن الوصايا العشر ، وصايا خاصة بزمن موسى النبى ، ولا بالعهد القديم فقط ، إنما هى خاصة بكل جيل لأن السماء والأرض تزولان ، وحرف واحد من وصايا الله لا يزول (مت ٥ : ١٨) .

إنما المسيحية أعطت الوصايا العشر مفهوماً خاصاً ، يتفق مع السمو الذى فهمه المؤمنون فى العهد الجديد . وبقيت الوصايا ثابتة ، ولكن مفهومها يتسع ، حسبما يمنح الله بنعمته مجالاً للتأمل . وما أصدق قول داود النبى :

« لكل كمال رأيت منتهى ، أما وصاياك فواسعة جداً »

(مز ١١٨ : ٩٦)

وقد أُلقيت هذه المحاضرات سنة ١٩٦٧ ، ونشرناها أكثر من مرة ، وها نحن نُعيد طبعها كما أُلقيت وقتذاك .

شنوده الثالث

الوصية الخامسة

« إكرم أباك وأمك . لكى تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إلهك » .

(خروج ٢٠ : ١٢) .

« إكرم أباك وأمك كما أوصاك الرب إلهك ، لكى تطول أيامك ، ولكى يكون لك خير على الأرض التى يعطيك الرب إلهك » .

(تثنية ٥ : ١٦) .

محتويات الكتاب

الفصل الأول

الأبوة الطبيعية ، واحترام الأقارب الكبار

معنى الوصية الحرفى :

هذه الوصية الخامسة ، فى معناها الحرفى ، البدائى ، الأول ، قبل أن يتسع نطاقها فى مفهوم البشرية ، وقبل أن تصل إلى كمال فهمها فى المسيحية ، كان المقصود بها إكرام الوالدين اللذين أنجبا الإبن بالجسد .

إتساع معناها ومفهومها :

ثم إتسعت حتى شملت الأقارب الجسديين الذين هم فى منزلة الأب والأم كالعم والخال والعمة والخالة ... ثم إتسعت حتى شملت كبار السن ، الذين هم من جهة سنهم فى منزلة الأب والأم ...

ثم إتسعت الوصية فى فهمها حتى شملت الأبوة الروحية ، وأصبحت تنطبق على الذين يهتمون برعاية أرواحنا وعقولنا كالكهنة والمعلمين ، كما شملت أيضا أبوة المركز ومن لهم علينا واجب الرعاية ...

وسنتكلم فى هذا الفصل الأول عن الأبوة الطبيعية ، على أن الكلام فيها سيضع قواعد عامة يمكن أن تندرج تحتها باقى الأبوات .

أهمية هذه الوصية

تظهر أهمية هذه الوصية فى أنها :

١ ـ أولى الوصايا الخاصة بالعلاقات البشرية :

هذه الوصية الخاصة بإكرام الوالدين ، تجدها فى مقدمة وصايا اللوح الثانى ، قبل قول الرب : لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ... إلخ . وهذا الترتيب يعطينا فكرة عن خطورة هذه الوصية التى جعلها الرب أولى العلاقات البشرية .

تصوروا أن الرب لكى يعطينا فكرة عميقة عن إكرام الوالدين ، يقول : « إكرم أباك وأمك ، قبل أن يقول : « لا تقتل » ، وقبل أن يقول : « لا تزن » ، وقبل أن يقول : لا تسرق ولا تكذب ولا تشته . كأن الذى يخطىء بعدم إكرام والديه هو أكثر خطية ممن يرتكب جريمة قتل أو جريمة زنى أو جريمة سرقة ، وأكثر من الذى يشهد بالزور أو يشتهى ما لقريبه ...

لقد وضع هذه الوصية فى المقدمة حتى لا نستهين بها . قد يقشعر البعض منا من جريمة القتل ، ويقول : « حاشا لى أن أقتل . إننى لست مجرماً » . ولكن الله قال : « إكرم أباك وأمك » قبل أن يقول : « لا تقتل » . هكذا بين لنا مقدار الجرم الذى يرتكبه الإنسان إذا لم يكرم والديه .

يزيد فى قيمة هذه الوصية أيضاً أنها :

٢ ـ أول وصية مقترنة بمكافأة :

قال بولس الرسول : « إكرم أباك وأمك ، التى هى أول وصية بوعد ... » (أف ٦ : ٢) . وما هو ذلك الوعد الذى وعد به الله من يكرم والديه ؟ إنها بركة مزدوجة : « لكى تطول أيامك على الأرض ، ولكى يكون لك خير » (أف ٦ : ٣ . تث ٥ : ١٦) .

وعكس هذا صحيح . فالذى لا يكرم والديه ، يحدث له عكس هذه البركة ، فتكون أيامه قليلة ، ورديَة ...

يعقوب أبو الآباء ، الذى إستغل عمى أبيه . وخدعه ، وأخذ بركته بمكر ، نراه يثبت لنا هذه القاعدة عندما قال لفرعون : « قليلة وردية كانت أيام سنى حياتى ، ولم تبلغ إلى أيام سنى حياة آبائى » (تك ٤٧ : ٩) .

إن هذا ولا شك يرشدنا إلى نقطة أخرى نؤكد أهيمة هذه الوصية ، وهى عقوبة الموت لمن يكسرها :

٣ ـ من لا يكرم والديه عقوبته القتل واللعنة :

إن كسر هذه الوصية ، كانت عقوبته الموت ، وفى ذلك تقول الشريعة : « من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلاً ... ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلاً » (خر ٢١ : ١٥ ، ١٧) .

و يؤكد الرب هذه العقوبة الحازمة بقوله فى موضع آخر « **كل إنسان سب أباه أو أمه ، فإنه يقتل . قد سب أباه أو أمه ، دمه عليه** » (لا ٢٠ : ٩) .

ولعله إلى هذه الوصايا أشار السيد المسيح عندما قال للكتبة والفريسيين : « لأنّ موسى قال : إكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً » (مر ٧ : ١٠) .

إن الأب والأم ليسا مثل الأشخاص العاديين . فإن شتم إنسان شخصاً عادياً ، لا تكون عقوبته الموت . وإنما من الجائز أن يُقدم للمجمع ، ومن الجائز أن ينتهى الأمر بالصلح . أما أن يشتم أباه أو أمه ، فإن عقوبته تكون القتل ، فيموت موتاً ...

و بالاضافة إلى عقوبة الموت ، كان من يسب أباه أو أمه تتبعه اللعنة أيضاً . وفى ذلك يقول الكتاب : « من سب أباه أو أمه ينطفىء سراجه فى حدق الظلام » (أم ٢٠ : ٢٠) .

ولم تكن عقوبة القتل قاصرة على من يضرب أبو يه أو يشتمهما ، وإنما كانت أيضاً للإبن المعاند غير المطيع .

وفى ذلك يقول الرب فى سفر التثنية : « إن كان لرجل إبن معاند ومارد ، ولا يسمع لقول أبيه ولا لقول أمه ، و يؤدبانه فلا يسمع لهما : يمسكه أبوه وأمه ، و يأتيان به إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه . و يقولان لشيوخ مدينته : إبننا هذا معاند ومارد ، ولا يسمع لقولنا ، وهو مسرف وسكير . فيرجمه رجال مدينته بحجارة حتى يموت ، فتنزع الشر من بينكم » (تث ٢١ : ١٨ - ٢١) .

وكانت اللعنة عقوبة من يستخف بأبيه أو أمه ، أى يستهزىء بهما أو لا يقابلهما بما يليق من الاحترام والتوقير.

على جبل عيبال ، كان يقف اللاو يون ، و يصرخون بصوت عال : « ملعون من يستخف بأبيه أو أمه » . فيقول جميع الشعب : « آمين » (تث ٢٧ : ١٦) .

و يقول الكتاب أيضاً : « العين المستهزئة بأبيها والمحتقرة اطاعة أمها ، تقورها غربان الوادى ، وتأكلها فراخ النسر » (أم ٣٠ : ١٧) .

إن لعنة كنعان بن حام تعطينا فكرة دقيقة عن عقوبة عدم إكرام الوالدين . فماذا كان سبب تلك اللعنة الخطيرة ؟

لم يحدث أن حام عصى أباه أو ضربه أو سبه أو تكلم عليه بالشر. إنما كل ما فى الأمر أنه أبصر أباه نوحاً ـ وهو سكران وعريان ـ فلما يغطه، بل نظر وأخبر أخوته (تك ٩ : ٢٠ ـ ٢٦). وبسبب هذا أصابت اللعنة نسله من الكنعانيين آلافاً من السنين ...

حتى أن السيد المسيح نفسه، المسيح اللطيف الرقيق، الذى كل كلامه يمتزج بالرقة والشفقة والحنو، نراه فى حديثه مع المرأة الكنعانية قد أكد هذه اللعنة بقول للمرأة: « ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين و يطرح للكلاب » (مت ١٥ : ٢٦). « للكلاب » ؟! كلمة شديدة ولا شك، يزيدها شدة أنها صادرة من فم المسيح الطيب الحنون، وموجهة إلى إمرأة مسكينة تطلب شفاء إبنتها ...

ولكن هذه الشدة تثبت أن الرب قد صدق على اللعنة التى لعن بها نوح نسل إبنه حام، وبالتالى تعطينا فكرة عن أهمية إكرام الوالدين، وكيف إنها ليست خطية هينة أن يستخف أحد بأبيه أو أمه.

ونلاحظ أنه فى نفس الوقت الذى لُعن فيه نسل حام من الكنعانيين، بورك سام و يافث، لأنهما لما سمعا أن أباهما عريان « أخذ الرداء، ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلى الوراء، وسترا عورة أبيهما » دون أن يبصرا عريه ...

إن وصية إكرام الوالدين، يوضح أهميتها أيضاً :

٤ ـ المقام الكبير الذى للأب :

الأب هو رئيس الأسرة كلها، ليس للأولاد فقط وإنما لأمهم أيضاً، لأن « الرجل هو رأس المرأة » (١ كو ١١ : ٣). وفى النظام القبلى قديماً، كان الأب هو حاكم الأسرة، وكان الأب الكبير أو الجد هو حاكم العشيرة، وهو قاضيها أيضاً. فكان يجمع بين الرئاسة الطبيعية والرئاسة المدنية فى نفس الوقت.

وكان **الأب أيضاً هو كاهن الأسرة وشفيعها عند الله**. ولما جاءت شريعة موسى. خصصت الكهنوت فى بنى هرون. ولكن قبل شريعة موسى، كان الأب هو كاهن الأسرة. نسمع أن أيوب الصديق مثلاً كان يقدم محرقات عن أولاده، على عددهم كلهم، لأنه قال: « ربما أخطأ أبنائى وجدفوا على الله فى قلوبهم » (أى ١ : ٥). وهكذا كان شفيعهم ووسيطهم عند الله ... وبالمثل كان نوح وإبراهيم وإسحق

و يعقوب ، وكل أولئك الذين نسميهم : « الآباء البطاركة » أى رؤساء الآباء ...

وكانت بركة الأب شيئاً عظيماً ، يسعى إليه الإبن ، ويطلبه بدموع وبكافة الطرق . ومن يباركه الأب ، يباركه الله ...

وهكذا نسمع مثلاً أن إسحق بارك يعقوب . ومع أن يعقوب سعى إلى تلك البركة بخدعة ومكر ، إلاّ أن بركة أبيه له قد ثبتت ، وإعتمدها الله نفسه ، وبارك الله يعقوب الذى باركه أبوه إسحق (تك ٢٨ : ١ ، ١٤) . وهكذا أيضاً عيسو الجبار ، يبكى بمرارة ودموع طالباً بركة أبيه (تك ٢٧ : ٣٨) .

وكما كان الله يعتمد بركة الأب ، كان يعتمد لعنته أيضاً . وقد رأينا مثلاً لهذا فى لعنة نوح لكنعان ، ثلاث مرات يصب عليه لعنة العبودية . فقال : « ملعون كنعان ، عبد العبيد يكون لأخوته » ثم قال : « مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم . ليفتح الله ليافث فيسكن فى مساكن سام ، وليكن كنعان عبداً لهم » (تك ٩ : ٢٥ - ٢٧) . وهذه العبودية التى كررها نوح ثلاث مرات فى لعنته لكنعان ، قد وافق عليها السيد الرب فى حديثه مع المرأة الكنعانية كما سبق وقلنا ...

وبنفس الوضع إعتمد الرب كل البركات والأحكام التى قالها يعقوب أبو الآباء لأبنائه فتمت كما هى (تك ٤٩) .

ومن الأدلة الكبيرة على أهمية مركز الوالدين ، أن :

٥ - الله شبه محبته بحنو الأب والأم :

عندما أراد الرب إلهنا أن يبين عمق صلته بنا ، وعمق محبته لنا ، شبه علاقته بنا بحنو الأب وحنو الأم .

إن الله هو سيد الخليقة كلها . كلها صنعة يديه ، وكلها خاضعة لسلطانه ، وكثيراً ما ندعوه رباً ، وهو كذلك ...

ولكن إلهنا الحنون يفضل لقب الأب لدلالته على الحب والحنان .

وهكذا عندما علمنا مخلصنا الصالح الصلاة الربية ، لم يطلب إلينا إن نوجهها إلى سيدنا الخالق الحاكم ، إنما أمرنا أن نقول : « أبانا الذى فى السموات » .

وما أكثر آيات العهد الجديد التى تدل على أبوة الله ، والتى تحمل معنى محبته وإشفاقه ...

عندما تحدث ربنا يسوع المسيح عن إحتياجاتنا ، قال : « لا تهتموا ... لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها » (مت ٦ : ٣١ ، ٣٢) « فكم بالحرى ابوكم الذى فى السموات يهب خيراته للذين يسألونه » (مت ٧ : ١١) . وفى حديثه عن الملكوت قال لنا : « لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت » (لو ١٢ : ٣٢) . وفى حديثه عن عمل الخير فى الخفاء ، كرر أكثر من مرة عبارة : « أبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية » (مت ٦ : ٦) ... ما أكثر الآيات التى تدل على أبوة الله لنا ، ليس من السهل أن نحصيها .

هذه الأبوة ليست شيئاً جديداً من تعاليم العهد الجديد . إنما أمر واضح منذ البدء ، ومن الأصحاحات الأولى لسفر التكوين .

إن قصة الطوفان تبدأ بهذه المقدمة : « إن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات » (تك ٦ : ٢) . وهكذا نرى أن الله ـ فى أبوته العجيبة ـ لم يستنكف أن يدعو البشر أولاده ، حتى وهم فى عمق الخطية .

وأحس أنبياء العهد القديم أبوة الله ، فخاطبوه قائلين : « فإنك أنت أبونا ... أنت يارب أبونا ، ولينا ، منذ الأبد إسمك » (أش ٦٣ : ١٦) « والآن أنت يارب أبونا ، نحن الطين وأنت جابلنا » (أش ٦٤ : ٨) .

وبهذا كله رفع الله شأن الأبوة ، إذ دعا نفسه أباً لنا . وكذلك شبه محبته بحنان الأم ، إذ قال معاتباً أورشليم قائلاً : « يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، ولم تريدوا » (مت ٢٣ : ٣٧) . وهنا يشبه محبته بالدجاجة الأم فى حنوها على فراخها . بل يقول الرب أن حنانه أكثر من حنان الأم التى لا يمكن أن تنسى رضيعها (أش ٤٩ : ١٥) .

إن كان الله فى حنانه هو أبونا ، فإن الكنيسة هى أمنا . وكلنا أبناء الكنيسة ، تمخض بنا الرسل (غل ٤ : ١٩) . وولدتنا الكنيسة الأم فى جرن المعمودية ، وغذتنا لبن التعليم السليم وعشنا فى أحضانها هذا الزمن كله نتمتع برعايتها وحبها ...

لذلك نضع فوق كل محبة ، وفوق كل أبوة وأمومة :

أبوة الله ، وأمومة الكنيسة

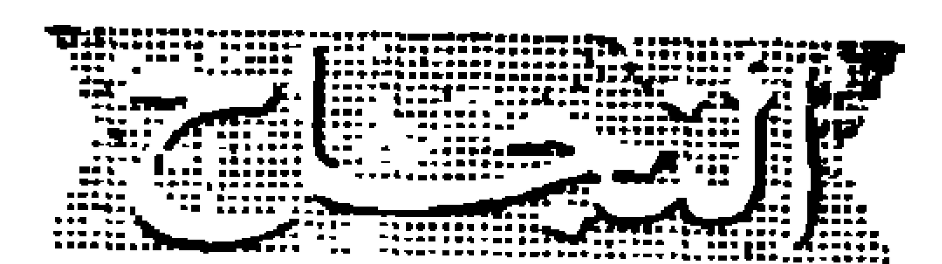
الفصل الثانى

كيف نكرم الآباء ؟

قد يقول كل واحد منا : أنا مقتنع بخطورة هذه الوصية ، وبوجوب إكرام الوالدين ، ولكن كيف أكرم والدى ؟

إن إكرام الوالدين يستوجب المحبة ، والطاعة ، والاحترام ، والعرفان بالجميل ، والإعالة .

وهناك عنصر يضاف إلى هذا كله ، وسنبدأ به ، وهو النجاح .



لا شك أن النجاح فى الحياة هو لون من ألوان إكرام الوالدين . إن نجاحك يشرف أباك ويشرف أمك ويُفرح قلبيهما وصدق الكتاب عندما قال : **« الإبن الحكيم يسر أباه ، والإبن الجاهل حزن أمه »** (أم ١٠ : ١) . **وقال أيضاً : « أبو الصديق يبتهج إبتهاجاً ، ومن ولد حكيماً يُسر به »** (أم ٢٣ : ٢٤) .

إذا ذاكرت دروسك جيداً ، ونجحت وتفوقت ، إذا كنت أمـ
ونلت ثقة ومحبة رؤسائك ، إذا كنت إنساناً ناجحاً فى الحيا
واسمك حلو فى أفواه الناس ، فإنك بهذا النجاح تكر
يبتهجان ويفتخران بنجاحك .

أما إن كنت فاشلاً فى حياتك ، فإن أباك لا
أمك تخجل من فشلك . وإن أتت سيرتك فى حـ
وجهه فى الأرض . صدق الكتاب عندما قال
للتى ولدته » (أم ١٧ : ٢٥) ، « من ولـ
(أم ١٧ : ٢١) ، بل أن الكتاب يقول
أبيه » (أم ١٩ : ٢٣) .

ما أكثر الأمهات فى التاريخ اللائى فرحن بأولادهن الناجحين ...

حنة فرحت بإبنها صموئيل ، و يوسف الناجح كان سبب فرح لأبيه ، وأكثر من الكل مريم العذراء فرحت بإبنها يسوع الذى « كان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس » (لو ٢ : ٥٢) ، لقد أكرمها إبنها بسبب حياته المثالية التى كانت محل إعجاب الجميع .

وعلى العكس من كل هذا ، كان الأبناء الضالون والفاشلون . عيسو يقول عنه الكتاب إنه كان سبب : « مرارة نفس لإسحق ورفقة » (تك ٢٦ : ٣٥) . وأوغسطينوس فى ضلاله كان مصدر ينبوع دموع مُرة لأمه القديسة مونيكا .

إذن أيها الأحباء ، كونوا ناجحين فى حياتكم ، لكى يفرح آباؤكم بكم وتكرموا آباءكم بنجاحكم .

نقطة أخرى فى إكرام الوالدين ، وهى العرفان بالجميل :

١ العرفان بالجميل

لابد أن تعرف جميل أبيك وأمك عليك ... لا أريد أن أنصح بقراءة كتاب طبي أو نفسي ، لكى تدرك حالة الأم وقت الحمل ، تلك التى حملتك فى بطنها تسعة أشهر، ...ـت من أجلك كثيراً ...

... أنها من أجلك لم تدخل الكنيسة طول مدة نفاسها ، وبعضاً من فترات ... إلى هذا التعب الذى تعبته من أجلك وأنت رضيع ، وأنت طفل ... فى بكائك ، فى نظافتك ، فى حملك على حجرها وعلى صدرها ... ن الطفل الرضيع يمكن أن يجعل أمه أحياناً لا تستطيع أن

...ـمرت فى العناية بك ، لأصابتك أضرار وأخطار لا يمكن أن ينساه إنسان ...

...ح إن أمى تعبت فى تربيتى زمان، ولكن ... أ لا يجعلك تنسى جميلها . أمك تشيلك ... تحتملها ...

لا تنسى أيضاً جميل أبيك عليك ، ذلك الذى تعب وكافح من أجل تربيتك ؛ وقام بجميع مصروفاتك ، وأنفق عليك من عرقه ومن دمه . وكان من يمسك كأنه يمس حدقة عينه .

ولا يكن عرفانك بالجميل من جهته قاصراً على تعبه مادياً من أجلك ، وإنما عرفانك أيضاً بالجميل من جهة ما أغدقه عليك من حب وحنان ، وما حباك به من عاطفة .

ولكى ندرك أهمية هذه العواطف ، يكفى أن نتأمل كيف أن كثيراً من الذين حرموا من حنان الأبوة وحنان الأمومة ، وقعوا فى أزمات نفسية خطيرة ومشاكل صعبة ...

إن كانت أمك تتعبك الآن أحياناً ، لأسباب معينة ، فلا يصح أن تنسى لها الماضى الطويل الجميل . وتأكد أنك لو قابلت عطفها الماضى بقليل من عطفك حالياً ، فإنها سوف لا تنسى لك هذه العاطفة ، وستصل بها إلى أعماق قلبها ...

ما أقسى على النفس أن تتعب أم دهراً طويلاً بوليدها الصغير ، حتى إذا شب وكبر ، تركها وكأنه لا يعرفها ... !!

نقطة ثالثة فى إكرام الوالدين ، وهى الإعالة :

الإعالة

يجب أن يعتنى الإنسان بوالديه ، يعولها ويهتم بهما ، ولا سيا فى فترات الشيخوخة أو الضعف أو المرض أو العوز .

لقد وبخ السيد المسيح جماعة الكتبة والفريسيين الذين كانوا يقصرون فى إكرام الوالدين بحجة تقديم قربان للهيكل ! فقال لهم : « وأنتم لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم . فإن الله أوصى قائلاً إكرم أباك وأمك ، ومن يشتم أباً أو أماً موتاً يموت . وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذى تنتفع به منى ، فلا يكرم أباه وأمه !! فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » (مت ١٥ : ٣ - ٦) .
وهكذا أظهر السيد الرب أن إكرامك أباك وأمك بمالك - حين يحتاجان إليه ، أهم من تقديمة قرباناً للمذبح .

وهناك آية قوية جداً تتعلق بهذا الموضوع وردت فى رسالة بولس الرسول الأولى إلى تلميذه تيموثيئوس إذ يقول : « **إن كان أحد لا يعتنى بخاصته - ولا سيا أهل بيته -**

فقد أنكر الإيمان ، وهو شر من غير المؤمن » (١ تى ٥ : ٨) .

إذن فكما أهتم بك والداك فى صغرك ، يجب أن تهتم بهما عندما يكبران ، خاصة أن الأب كلما تمر به الأيام ، تزيد أعباؤه . كان عنده قديماً طفل أو طفلان . أما الآن ، فقد كثر أولاده ، وأصبح عنده أبناء فى الجامعة ، وبنات يستعد لتجهيزهن للزواج ...

وإذ كثرت النفقات ، ينبغى أن يتعاون كل أفراد الأسرة من أجل القيام بمصروفات البيت ، **ولست أقصد بهذا التعاون أنه كلما يتوظف إبن جديد تزداد العناصر الترفيهية فى البيت ، ويكثر شراء الكماليات** وأمور ليس فقط لا لزوم لها ، بل قد تكون سبباً لخطية . إنما نقصد بالإعالة الاهتمام الحقيقى بحاجيات الوالدين وحاجيات الأسرة ، براً بهم ، ورداً للجميل الكبير الذى لاقاه الإبن فى تربيته والعناية به حتى أصبح ذا مورد وإيراد .

إن السيد المسيح - حتى وهو على الصليب - لم ينس أمه ، فعهد بها إلى تلميذه يوحنا الحبيب ، وقال له : « هوذا أمك » . ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته (يو ١٩ : ٢٧) . فمن الواجب إذن أن يعتنى الإبن بوالديه و يعولهما .

فى سنى الجوع لم ينس يوسف الصديق أباه وهو فى أرض بعيدة ، بل أرسل إليه يقول : « هكذا يقول إبنك يوسف : إنزل إلىَّ . لا تقف . فتسكن فى أرض جاسان ، وتكون قريباً منى أنت وبنوك وبنو بنيك وغنمك وبقرك وكل مالك . وأعولك هناك ، لأنه يكون أيضاً خمس سنين جوعاً ، لئلا تفتقر... » (تك ٤٥ : ٩ : ١١) .

قصـــة :

سمعت قصة وأنا فتى صغير ، تروى أن رجلاً كان له أب عجوز ، وكان يعتنى به . ولكن هذا الأب نظراً لشيخوخته كانت تقع منه أطباق الأكل أحياناً فتنكسر . فضاق به إبنه وصنع له أطباقاً من خشب حتى لا تنكسر ، وكان يضع له فيها طعامه .

وكان لهذا الرجل إبن صغير (حفيد للأب العجوز) . وكان يذهب أحياناً إلى جده فيجده يأكل فى أطباق من خشب . فسأل أباه عن السبب . ولما عرفه قال لأبيه فى بساطة : « حافظ يا بابا على الطبق الخشب دا كويس ، علشان لما تكبر وتبقى زى جدى ، أبقى أحط لك الأكل فيه » !! لقد ظن هذا الإبن الطفل أن هذا هو النظام المتبع مع الكبار...

حقاً إنه حسبما يكرم الإنسان والديه ، سيكرمه أبناؤه فيما بعد .

قصة أخرى :

قرأت قصة أخرى موداها أنه فى إحدى المرات غزا جيش الأعداد بلداً من البلاد وقتل الجنود كل من فيها ، وكان هناك فى تلك البلدة إثنان من الشبان على معرفة بقائد الجيش الذى غزا المدينة . وكانا قد فعلا معه جيلاً من قبل أراد أن يرده لهما . فقال لهما : « احملا أثمن ما عندكما وأهربا من البلد بسرعة ، وأنا أضمن سلامتكما » .

فدخل الشابان إلى بيتهما ليحملا أثمن ما عندهما . فحمل الشاب أباه ، وحمل الشاب الثانى أمه ، وتركا المدينة . كان هذان الوالدان هما أثمن ما عندهما فى هذه الدنيا كلها .

المحبة والاحترام :

أول محبة يمارسها الإنسان هى محبته لأمه ، ثم محبته لأبيه . وهى محبة طبيعية لا يبذل مجهوداً فى إقتنائها ، ولا يحتاج إلى مجهود فى المحافظة عليها . وهى أيضاً محبة متبادلة . وأى إنحراف عن هذه المحبة ، هو شذوذ غير طبيعى ...

هذه المحبة لها عنصر إيجابى وعنصر سلبى .

أما العنصر الإيجابى : فهو عاطفة الحب التى يظهرها الإبن نحو أبيه وأمه ، وبذل كل ما يستطيع من جهد فى اراحتهما وإرضائهما وكسب بركتهما ورضاهما . و يستمر هذا الحب وهذا الإرضاء طول الحياة . وحتى بعد إنتقالهما إلى العالم الآخر ، يقيم الصلوات والقداسات عنهما ، و ينفذ وصيتهما على قدر ما يستطيع .

وأما العنصر السلبى : فهو أن الأبن لا يصح أن يُغضب أحداً من والديه أو يثيره ، أو يعامله ببغضة أو بقسوة ، أو يتجاهل رأيه . ولا يصح للإبن أن يرهق والديه بكثرة الطلبات وخاصة بما هو فوق طاقتهما . ولا يصح أن يبدد مالهما ، أو أن يضيع سمعة الأسرة بسلوكه فى الفساد . وأكثر عقوق يصل إليه الإبن هو أن يتمنى الشر أو الموت لأحد من والديه ...

لقد أمر الكتاب بقتل من ضرب أو شتم أباً أو أماً . كما لعن من يستخف بأبيه أو أمه .

والإستخفاف فيه عدم إحترام للوالدين .

ومن أمثلته أن يعامل الأبن والديه على نفس المستوى ... كأنه وهما فى درجة واحدة . أى أن الكلمة ترد بكلمة ، والمناقشة تقابلها مناقشة ، والغضب يقابل بغضب ، والصوت العالى يرد عليه بصوت عالى . كأن لا فارق ... هذا الأمر يحدث بين إثنين متساو يين ، وعلى مستوى غير روحى . وقطعاً هذا لا يليق .

ينبغى على الإبن أن يجعل نفسه فى الدرجة الأقل ، لأن من حق أبيه أن ينتهره . وهو لا يرد على هذا الانتهار ، بل يسمع و يسكت . إن رفع أبوه صوته ، أو رفعت أمه صوتها ، لا يرفع هو صوته فى مستوى صوت أبيه أو أمه ، إن رفع صوته يكون مخطئاً . ليس هذا هوأدب الحديث مع الأب أو الأم ، وليس من الاحترام أن تعامل أياً منهما على نفس مستواك ...

ومن علامات إحترام الوالدين خدمتها فى كل ما يحتاجان إليه . ولا أقصد بالخدمة مجرد أن تطيع عندما يطلب منك أبوك مثلاً أى طلب . طبعاً هذا واجب ، ولكننى أقصد أكثر من هذا ... أن الإبن الحكيم ينظر من تلقاء نفسه ما هوإحتياج أبيه وما هو إحتياج أمه ، ويخدمهما دون أن يطلبا منه ، فى كل ناحية .

مثال ذلك : وجدت والدك واقفاً ومتعباً ، لا تنتظر أن يطلب منك احضار كرسى ليجلس ، بل إذهب من تلقاء نفسك وأحضره ، وقل له : تفضل يا أبى وإسترح . كنت جالساً مثلاً إلى المائدة ، ووجدت صنفاً ينقص أباك ، أحضره له وضعه أمامه . وجدت كوب الماء الذى أمامه فارغاً ، املأه له . وجدت أمك مثلاً متعبة فى العمل ، تقدم وساعدها . لا تنتظر إلى أن تطلب منك . لا تجلس مثلاً إلى المائدة منتظراً حتى تضع والدتك الطعام أمامك ، وإنما إذهب وأحضره معها . وفى نهاية الأكل أرفع معها بقايا الطعام وساعدها .

اخدم أباك وأمك واحترمها . ولا تظن أنك بهذا تنقص درجة . بالعكس ، إنك تز يد وترتفع فى نظرهما وفى نظر الكل وأمام الله نفسه .

أمثلة من الكتاب :

أنظروا سليمان الحكيم مثلاً وهو ملك جالس على عرشه . جاءت إليه والدته . فماذا فعل سليمان ؟ يقول الكتاب : « فقام الملك للقائها ، وسجد لها وجلس على كرسيه ، ووضع كرسياً لأم الملك فجلست عن يمينه » (١ مل ٢ : ١٩) .

إن سليمان الملك عندما قام عن عرشه وسجد لأمه ، لم ينقص درجة بل زاد . أكثير إذن أن يُقبّل الشخص يد أبيه أو أمه ؟ أو أن يُقبّل يد الكاهن الذى هو الأب الروحى ؟

مثال أخر هو يوسف الصديق ، وكان هو نائب فرعون فى حكم مصر كلها ، خاتم فرعون فى يده ، وفى يده كل السلطة والنفوذ ، والناس يركعون أمامه (تك ٤١ : ٤٠ - ٤٣) . بل قد صار « أباً لفرعون وسيداً لكل بيته » (تك ٤٥ : ٨) . **ومع كل هذه العظمة التى أحاطت بيوسف ، لم يستنكف من أبيه راعى الغنم ،** بل استقدمه إلى مصر بمركبات أرسلها إليه . وشد يوسف مركبته وصعد لاستقبال أبيه . وقدمه لفرعون ، ولم يستنكف أن يقول عن أبيه وأخوته أنهم رعاة مواش (تك ٤٦ : ٣١) .

إنه درس يقدمه يوسف الصديق لمن يتنكر لأبيه أو يستحى بسببه ، إن كان فقيراً ، أو جاهلاً ، أو فى وظيفة بسيطة أو فيه عيب ما ...

يجب على الإبن إذن أن يحترم أباه و يوقره ، ولا يستخف به . ولا يستهين برأيه ، **ولا يظن أنه « دقة قديمة » ، وأنه من جيل قد مضت أيامه ليفسح الطريق للجيل الجديد (الصاعد) !** ولا يصح أن يسخر من أحد والديه سواء بالكلام أو بالنظر أو بأية حركة ، ولو عن طريق المزاح . فهذا كله لا يليق **قال الكتاب : « تهابون كل إنسان أمه وأباه »** (لا ١٩ : ٣) .

الطاعة والخضوع

الطاعة عنصر جوهرى هام فى إكرام الوالدين . قيل عن السيد المسيح أنه أطاع الآب حتى الموت موت الصليب (فى ٢ : ٨) . **وفى تجسده على الأرض قيل إنه كان خاضعاً لمريم ويوسف** (لو٢ : ٥١) **خضع لمريم لأنها كانت أمه ، وخضع ليوسف مع أنه لم يكن أباه بالجسد ، وإنما كان بمنزلة الأب ،** من جهة الرعاية ، لأنه زوج الأم وقد أعتبر أباً له من جهة العرف ، حتى أن مريم قالت لربنا يسوع عن يوسف « أبوك وأنا كنا نطلبك معذبين » (لو٢ : ٤٨) .

إن خضوع الرب لمريم و يوسف هو درس عظيم نافع لنا ، **لقد خضع لهما هذا الذى تخضع له الملائكة ورؤساء الملائكة !** الذى تجثو له كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض (فى ٢ : ١٠) . إن الرب يرينا بنفسه إلى أى حد يجب أن تنفذ الوصية الخامسة .

ومن الأمثلة الرائعة فى الكتاب المقدس لطاعة الوالدين ، مثال إسحق مع أبيه إبراهيم ، حيث أسلم نفسه لأبيه ليقدمه محرقة للرب . ومن أمثلة هذا الخضوع العجيب أيضاً **ما فعلته إبنة يفتاح الجلعادى ،** التى أسلمت نفسها لأبيها ليتمم فيها نذره (مع أنه نذر خاطىء) . فقدمها أبوها محرقة للرب (قض ١١ : ٣٠ ـ ٤٠) .

ومن أمثالة الطاعة التى رواها الكتاب فى إعجاب ، وبكت بها الرب عدم طاعة بنى إسرائيل له ، **مثال طاعة بنى ركاب لأبيهم** الذى كان قد أوصاهم قائلاً : « لا تشربوا خمراً أنتم ولا بنوكم إلى الأبد . ولا تبنوا بيتاً ، ولا تزرعوا زرعاً ، ولا تغرسوا كرماً ، ولا تكن لكم . بل إسكنوا فى الخيام كل أيامكم » (أر ٣٥ : ٦ ـ ١٠) . وقد سُر الرب كثيراً بطاعة بنى ركاب لأبيهم ، وقال لهم : « من أجل أنكم سمعتم لوصية يوناداب أبيكم ، وحفظتم كل وصاياه ... لذلك ... لا ينقطع ليوناداب بن ركاب إنسان يقف أمامى كل الأيام » (أر ٣٥ : ١٨ ، ١٩) .

نعم ، ما أجمل الطاعة للوالدين . لذلك يوصينا الكتاب بها قائلاً : « **إسمع يا بنى تأديب أبيك ، ولا ترفض شريعة أمك** » (أم ١ : ٨ ؛ ٦ : ٢٠ ؛ ٢٣ : ٢٢) .

نعم ، ما أجمل الطاعة ، وما أجمل الخضوع . إنهما ثمرتان من ثمار الإتضاع ، ومن ثمار التأدب . وهما دليلان على الوداعة والمحبة ...

وفى الطاعة أيضاً نكران للذات ، وجحود للمشيئة الخاصة . ولا شك أن الطاعة تكبر وتعظم كلما أطاع الإنسان فيما هو ضد مشيئته ، وأخضع مشيئته لغيره .

ومن الكلمات الجميلة فى الطاعة ، قول السيد المسيح له المجد : « لأنى نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى بل مشيئة الذى أرسلنى » (يو ٦ : ٣٨) .

عناصر الطاعة :

من المفروض إذن فى الإبن أن يطيع والديه : طاعة قلبية عن حب ورغبة فى الإرضاء ، وطاعة حقيقية ليست ظاهرية ، وطاعة عن رضى بغير تذمر ، وطاعة سريعة بغير تلكؤ ، طاعة فى غيبتهم وفى حضورهم . وأخيراً طاعة فى الرب .

أ ـ طاعة حقيقية :

يجب على الإبن أن يطيع والديه ، ليس مجرد الطاعة لكلامهما فقط ، وإنما لمشاعرهما الداخلية ، طاعة تهدف لإرضاء قلبهما . حتى إن قالا كلاماً باللسان غير ما يحبونه .

قصـــة :

ومثال ذلك قصة قرأتها عن طفل صغير، إنه كان يريد أن يذهب إلى حفلة معينة مع زملائه . فطلب من والدته أن تأذن له بالذهاب ، فرفضت وقالت له : « لا تذهب » . فتضايق الطفل لأنه كان يريد أن يحضر الحفل . ولما رأت أمه أنه حزن وتضايق ، سمحت له أن يذهب على مضض منها . ولكن هذا الطفل فكر فى الأمر . وقال فى نفسه : « إن والدتى غير مستريحة لذهابى ، وهى من أجل إرضائى فقط سمحت لى ، ولكنها غير مستريحة فى قلبها من الداخل . ومعنى هذا إننى لو ذهبت فسأحزن قلبها ، فالأفضل أنى لا أذهب » . وأخيراً فإن هذا الطفل المطيع منع نفسه من تحقيق رغبته ، محبة فى والدته ورغبة فى إرضاء قلبها . ولم يقتنع ضميره بتلك الموافقة الظاهرية التى حصل عليها ...

إنه درس لنا . لأنه قد يوجد إبن يريد أن يطيع والديه شكلياً . فإن رفضا له طلباً ، يظل يضغط ويلح ، ويضغط ويلح ، وقد يتضايق وقد يحزن حتى يسمع كلمة : « وافقنا » . فيلتقطها بسرعة قبل ما يرجعوا فى كلامهم . ويسمح لنفسه أن يفتخر بعد ذلك ويقول : « أنا عمرى ما خالفت !! أنا أخذت الموافقة » !

صحيح إنها موافقة ، ولكنها أتت عن طريق الضغط . إنها مجرد موافقة لسان ، ولكن القلب غير موافق من الداخل والمفروض فى طاعة الوالدين ، أنها تكون طاعة حقيقية غير شكلية . يكسب فيها الإبن رضى والديه وموافقتهما القلبية .

ب ـ طاعة سريعة ...

يجب أن تكون الطاعة أيضاً بسرعة ، بغير تباطؤ ، ولا تلكؤ ، ولا تأخير . من غير كلمة : « بعدين ، طيب كمان شوية ، بكره إن شاء الله » ... هذا الكلام لا ينفع .

الإبن البار هو الذى يطيع بسرعة . ما أن تخرج الكلمة من فم أحد والديه ، حتى توضع مباشرة موضع التنفيذ . إن فعل الإبن هكذا ، لا بد أن يحصل على محبة والديه وينال البركة والدعاء ...

قصة من البستان :

توجد قصة لطيفة فى بستان الرهبان عن الطاعة : قيل مرة لأحد الشيوخ : « لماذا تحب إبنك الروحى فلان أكثر من الباقين وتفضله عليهم ؟ » . فأجاب سائليه :

« إنتظروا ، إنتظروا » . ثم نادى على تلاميذه طالباً شيئاً . فتباطأ الكل فى التنفيذ . أما هذا الإبن ، فإنه كان جالساً يكتب . فلما سمع نداء أبيه الروحى ، قام بسرعة ، لدرجة أنه لم يكمل كتابة الحرف الذى وصل إليه عند سماعه صوت معلمه . ولما رأى الناس ذلك إندهشوا ...

هذه الطاعة السريعة نجدها واضحة أيضاً فى العسكرية . لا بد للجندى أن يطيع بسرعة ، بغير تأخير ولا تباطؤ. ولعل هذه هى إحدى الفضائل التى يحصل عليها من تدرب فترة فى الجيش .

جـ - طاعة فى غيابها ...

والطاعة التى تنال رضى الوالدين تكون فى غيابهما كما فى حضورهما .

قصـــة :

يحكى عن أحد الشبان أن أتى إليه أصحابه يدعونه للذهاب معهم إلى مكان ما . فأعتذر قائلاً : « لا أستطيع لأن والدى أمرنى بعدم الذهاب إلى هناك » . فقالوا له : « لا تخف . تعال معنا ، وأبوك سوف لا يعلم » . فأجابهم : « نعم ، يمكن أن أذهب دون أن يعلم أبى ، ولكننى إن فعلت هذا ، فإننى عندما أرجع لا أستطيع أن أرفع عينى فى وجه أبى . سيملكنى شعور بالخجل منه لأننى خالفت كلامه » ...

د - طاعة برضى ...

ينبغى للطاعة الحقيقية أن تكون برضى القلب ، بدون تذمر، هناك أولاد ينفذون الأمر، ولكن بتذمر القلب ، وأحياناً بتذمر اللسان . يمشون فى الطريق وهم يكلمون أنفسهم ، **ويتلفظون بعبارات إحتجاج وسخط على هذا الأمر الذى ينفذونه .** هؤلاء يطيعون طاعة آلية . عن غير رغبة ، وعن غير حب . وقد ينفذون الأمر الذى صدر إليهم ، دون أن يكسبوا قلب الذى أمرهم ورضاه . وقد يكون تنفيذهم أحياناً عن خوف ، وليس عن حب وإكرام ...

وهناك من لا يطيعون إلاّ بعد جدل شديد ونقاش عنيف . وكل أمر يصدر إليهم يقتلونه فحصاً وتحليلاً ، و يرهقون أعصاب من يأمرهم بكثرة النقاش ، لدرجة أن الأب قد يتنازل عن أمره من تعب النقاش ، أو يفضل عدم طلب شىء من مثل هذا الإبن الكثير الجدال ...

ما أجمل قصة شجرة الطاعة : التى فيها أمر ذلك الشيخ القديس تلميذه يوحنا بأن يغرس عصا ناشفة و يرويها كل يوم ، وظل ذلك الإبن المطيع يروى الخشبة ثلاث سنوات دون جدال أو نقاش ، على الرغم من غرابة الأمر الصادر إليه . ومن أجل إيمانه وطاعته ، أثمرت تلك العصا كما أفرخت عصا هارون ، وصارت شجرة دعيت : (شجرة الطاعة) .

أخيراً هناك صفة أساسية فى الطاعة ، وهى أن تكون :

طاعة فى الرب

هكذا قال الرسول : « أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب ، لأن هذا حق » (أف ٦ : ١) . وعبارة « فى الرب » معناها (فى حدود وصايا الله) . حقاً إذن ما أجمل الطاعة والخضوع ، ولكن فى الرب .

فإن أطعت أباً أو مرشداً فيما يخالف وصايا الله ، فإنكما كلاكما تسقطان فى حفرة ، هذا إذا كانت المخالفة واضحة . نقول هذا لأنه يوجد أحياناً بعض آباء منحرفين ...

كن مطيعاً يا أخى ، وأخضع فى كل شىء ، بكل إتضاع ، حتى الموت ، إنكر ذاتك ، وإنكر مشيئتك ، وإنكر كرامتك . ولكن لا تنكر ضميرك .

وفى الطاعة ، أسلك بحكمة ، و بإفراز ، وتذكر قول القديس أنطونيوس الكبير : [إن أُمرت بشىء يوافق مشيئة الله فإحفظه . وإن أُمرت بما يخالف الوصايا ، فقل إن الطاعة لله أولى من الطاعة للناس . وأذكر قول الرب : « إن غنمى تعرف صوتى وتتبعنى وما تتبع الغريب »] (يو ١٠) . (بستان الرهبان جـ ١ ص ٩) .

مثال بنى ركاب :

لعل من أروع الأمثلة للطاعة ، ما فعله بنو ركاب ، مما ورد شرحه فى الأصحاح ٣٥ من سفر أرمياء النبى ، هؤلاء الذين أراد الرب أن يقدمهم مثالاً للطاعة يبكت به عصيان إسرائيل (٢) ... فأرسل إليهم أرمياء النبى ليقول لهم : « إشربوا خمراً » .

وكان الرب يعلم أنهم سوف لا يطيعون حتى هذا النبى العظيم . وكان يعلم أن فى عدم طاعتهم للنبى يكمن عمق الطاعة ، فى معناها الحقيقى ، فى حكمة وإفراز...

أخذهم النبى إلى بيت الرب ، إلى أحد المخادع ، حسب قول الرب له . ووضع أمامهم طاسات ملآنة خمراً ، وقال لهم : « إشربوا خمراً » . فقالوا : « لا نشرب » .

قالوا كلمة « لا » للنبى ، وقالوها بضمير مستريح ، ولم يخافوا . وسر الله جداً بعدم طاعتهم للنبى ، وكافأهم على ذلك .

لقد كان هذا من الرب إختباراً لهم لتقديمهم كمثال . وأعتبر الرب موقفهم هذا نموذجاً عالياً للطاعة ، مدحهم بسببه وكافأهم عليه ، وبكت بهم شعبه العاصى !!

كانوا مقدرين أنهم لو أطاعوا أرميا النبى العظيم فى هذا الأمر ، لكانت طاعتهم له كسراً للمبدأ الروحى السليم الذى ساروا عليه زمناً طويلاً ، مطيعين فيه الوصية الخامسة التى أمر بها الله من قبل . ووصايا الله لا ينقض بعضها بعضاً ...

هنا - إذ ننظر فى إعجاب كبير إلى موقف الركابيين - نتأمل فى إعجاب أكبر قول بولس الرسول فى الطاعة :

« ... إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم ، فليكن أناثيماً (أى محروماً) » (غل ١ : ٨) .

لا حظوا أن الرسول لم يقل : « إن بشرناكم نحن أو ملاك بغير ما بشرناكم به ، فلا تطيعوا » ، وإنما قال أكثر من هذا : « فليكن محروماً » ...

وقد إستفاض القديس باسيليوس الكبير فى شرح هذه الآية ، مبيناً أهمية هذا المبدأ العظيم الذى قدمه لنا الرسول عن الطاعة ، وقال معلقاً فى بيان خطورة هذا المبدأ : [إن بولس الرسول جسر فى ذلك أن يحرم ملائكة] .

ولما كان موضوع الطاعة والخضوع حساساً ومهماً بالنسبة إلى غالبية أنواع الأبوة ، لذلك قد خصصنا له الفصل المقبل من هذا الكتاب ...

الفصل الثالث

حول الطاعة والخضوع

إنه سؤال كثيراً ما يحير الناس وهم يقولون :

إلى أى حد يطيع الإنسان ويخضع ؟ هل هى طاعة مطلقة ؟ وماذا يفعل إذا إصطدمت الطاعة بضميره ؟ هل يخضع - تواضعاً - أم يطيع ضميره حتى إن وصفوه بالكبرياء ؟!

نجيب بأن الطاعة ينبغى أن تفهم فى حكمة ، كما ينبغى أن يفهم التواضع فى حكمة أيضاً . الطاعة أولاً وقبل كل شىء وقبل كل أحد ، موجهة إلى الله . ثم بعد ذلك نطيع الناس فى نطاق طاعتنا لله .

أما إذا إصطدمت الطاعتان ، طاعة الله بطاعة الناس ، فلا شك أن ضمير الإنسان يصغى حينئذ إلى قول بطرس الرسول : « ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس » (أع ٥ : ٢١) .

إذن فى حدود وصايا الله ، وداخل نطاق الوصية ، ينبغى لك أن تطيع والديك . فإذا أمرك أب أو أم أمراً يكسر وصية من وصايا الله ، حينئذ بضمير مستريح لا تسمع لأى منهما.. إن الله يطالب بطاعتهما طالما كانت أوامرهما لا تتعارض مع طاعة الله .

أمثلة من الإنحراف :

● إن قال لك أبوك مثلاً : « لو حد سأل عنى ، قل له إنى مش هنا » ، فلا يصح حينئذ أن تطيعه . ويمكنك أن ترفض هذا الأمر فى أدب وذوق .

● وإن كان أبوك تاجراً ، وإشترى بضاعة بعشرين جنيهاً ويريد أن يبيعها بأربعين . لذلك قال لك : « إن سألك أحد عن البضاعة قل له إننا إشتريناها بسبعة وثلاثين جنيهاً » فى هذا أيضاً لا يجوز أن تطيع . فى كل هذا تتذكر الآية التى تقول : « أطيعوا والديكم فى الرب » .

فى أمثال هذه الأمور لا يصح أن يحتج الآباء قائلين : أين الوصية الخامسة ؟! الوصية الخامسة ذُكرت فى مقدمة اللوح الثانى ، ومخالفتها لها عقوبات كذا وكذا ... ! لذلك إن أراد الآباء أن يطيعهم الأولاد ، عليهم أن يصدروا أوامرهم فى حدود وصايا الله .

● من المشاكل البارزة التى تقابل الأبناء المتدينين هى أوامر والدين غير متدينين .

يقول الأب مثلاً لأولاده : « تعالوا لما أفسحكم الليلة دى فى السينما » ، وقد تكون رواية خليعة ! و يكون لهذا الأب إبن متدين ، فيعتذر عن هذه الفسحة . و يصر الأب على طلبه ! و يثبت الإبن على مبادئه الروحية فيرفض الذهاب .

وهنا بدلاً من أن يترك الأب إبنه على حريته ، ويشجعه فى تمسكه بالدين ، يظن المسكين أن سلطته قد إهتزت ، وتتحول منحته إلى أمر واجب التنفيذ ! ويتمسك بسلطانه كأب ، و يتمسك بالوصية الخامسة التى لا تنطبق بحرفيتها وقتذاك . ولكنه يلجأ إلى الإتهام وإلى العقاب : وتكون النتيجة أن الولد يقف أمام مشكلة :

أيهما يطيع : هل يطيع الله أم يطيع أباه الجسدانى ؟

هل يطيع أباه الذى فى السموات أم أباً منحرفاً على الأرض ؟!

ولأن الإبن رفض حضور رواية خليعة فى السينما حدثت كل هذه الثورة من هذا الأب المهتم بسلطته وحرفية أوامره ، دون الإهتمام بروحيات أولاده ! ومن هذه النقطة يبدأ فى وصف الإبن بالعقوق والعصيان والتمرد وعدم إحترام الوالدين : و يسىء معاملته ، ويحمل الإبن فى كل يوم صليباً ...

● ونفس هذه الثورة تحدث من الأم التى تصر أن تلبس إبنتها المتدينة ملابس تكشف جسدها ، كما تصر على تزين إبنتها بأسلوب لا يريح ضميرها .

وتصر الإبنة المتدينة على أن تكون محتشمة فى ملابسها وفى زينتها . فبدلاً من أن تلاقى تشجيعاً على تدينها ، تقابلها الأم بثورة « أنت ها تفضحينا !! عايزاهم يقولوا عليك إنك فلاحة . يقولوا مالهاش أم تعتنى بها . لازم تطاوعى وتلبسى غصب عنكِ ... وإلاَّ : مافيش كنيسة » ، نفس نغمة الأب وطريقته ...

أيها الآباء والأمهات :

إذا أردتم أن تحتفظوا بكرامتكم ، إجعلوا أوامركم ونصائحكم لأبنائكم المتدينين وبناتكم المتدينات مطابقة لوصايا الله ، ومريحة لضمائرهم . إصدروا أوامر يمكنهم أن ينفذوها . والمثل يقول : « إذا أردت أن تطاع ، فسل ما يستطاع » .

إن الله يوصى بطاعة الوالدين . هذا حق . ولكنه يقول أيضاً : « أطيعوا والديكم فى الرب » .

والمسيحية ليست مجرد آية واحدة ، وإنما هى روح . ومن الخطر أن نأخذ جزءاً من التعليم ، ونترك الجزء الآخر المكمل له ، لأن أنصاف الحقائق ليست كلها حقائق .

لا تغيظوا أولادكم :

فلنتأمل ما قاله بولس الرسول فى رسالته إلى أفسس :

قال : أيها الأولاد أطيعوا والديكم فى الرب لأن هذا حق . إكرم أباك وأمك ... (هذا هو نصف التعليم . وما هو النصف الآخر ؟) يقول : « وأنتم أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم ، بل ربوهم بتأديب الرب » (أف ٦ : ١ - ٤)

إذن نصف التعليم موجه إلى الأبناء : « أطيعوا والديكم فى الرب » . والنصف الآخر تحزير موجه إلى الآباء : « لا تغيظوا أولادكم » .

وعبارة : « لا تغيظوا أولادكم » كررها بولس الرسول مرة أخرى فى رسالته إلى كولوسى ، مع تحذير موجه إلى الآباء .

(كو ٣ : ٢٠ ، ٢١) .

وكأن الله يخاطب كل أب هكذا : إبنك هذا ، أنا وضعته فى يديك ، وأعطيته وصايا كثيرة أن يطيعك ... **ولكن عليك أنت ألا تستغل هذه الطاعة فى أن تضغط عليه ، وتتعب نفسيته وضميره ، وترهقه بما هو فوق طاقته ، لئلا يفشل ، وإن فشل ، سأطلب دمه من يديك .**

لذلك كما تكلمنا عن واجب الأبناء حيال آبائهم ، لا بد أن نتكلم أيضاً عن واجب الآباء **وهذا ما سنخصص له الفصل المقبل من هذا الكتاب .**

الفصل الرابع
واجبُ الآباء نحو أبنائهم

إن إكرام الوالدين ، يقابله هو أيضاً ذلك المبدأ المعروف :

كل حق يقابله واجب ...

فلا يصح أن الوالدين يطالبان على الدوام بحقوق ، دون أن يؤدوا ما عليهم من واجبات . هذا أقوله للآباء والأمهات . أما الأبناء فأقول : يجب عليكم أن تكرموا والديكم حتى إن لم يقم أحد منهما بواجباته نحوكم ...

ومن أهم واجبات الآباء والأمهات : تربية الأبناء فى خوف الله ، وحسن معاملتهم ، والإنفاق عليهم ، ورعايتهم وتعليمهم ، وتقديم حياتهم قدوة صالحة لهم ، وتأديبهم كما يليق ، فى حزم ممزوج بمحبة وعطف .

تربية الأولاد فى خوف الله ...

إن الآباء والأمهات هم أشابين لأولادهم ، تعهدوا أمام الكنيسة فى يوم عمادهم أن يربوهم فى حياة الإيمان والفضيلة . فهم مسئولون أمام الله عن أبنائهم فى تنشئتهم تنشئة روحية صالحة .

غير أن كثيرين من الآباء والأمهات يقصرون إهتمامهم بأولادهم على الأمور الجسدية والمادية فقط دون الإهتمام بروحياتهم .

كل إهتمامهم بأولادهم منصب على نواحى المأكل والملبس ، والصحة الجسدية ، وتهيئة الإبن لكى يجد وظيفة ومركزاً ، وتهيئة البنت لكى تتزوج وتستقر فى بيت . أما حياة أولادهم الروحية ، وضمان مستقبلهم الأبدى ، فهى أمور ليست موضعاً للتفكير ، كأن لا أهمية لها فى نظر الآباء والأمهات !!

فإن شب أحد من أولادكم فاسداً أو سيء الخلق أو كان سبباً فى تعبكم ، فلا شك أنكم تحصدون ثمرة أيديكم . لقد كان هذا الإبن فى يوم من الأيام عجينة لينة طيعة فى أيديكم تشكلونها كما تشاءون ، فلماذا لم تهتموا به لكى يكون إبناً صالحاً يُفرح قلوبكم و يُفرح قلب الله ؟

إننا لا ننكر أنه يوجد أحياناً بعض أولاد شواذ ...

فآدم كان من أولاده هابيل البار ، وأيضاً قايين القاتل ، ونوح كان من أولاده سام و يافث المباركان ، وأيضاً حام الذى لم يستر عورة أبيه وتسبب فى لعنة كنعان . و يعقوب كان من أولاده يوسف الصديق ، وأيضاً أخوته الذين باعوه وكذبوا على أبيهم يعقوب ، وإسحق نفسه كان من أولاده يعقوب البار وأيضاً عيسو المستبيح الذى باع البكورية بأكلة عدس ... وما أكثر الأمثلة إن حاولنا أن نحصيها .

ولكن ليس معنى هذا أن تترك إبنك يفسد ، وتقول : أنا مثل أبينا إسحق الذى كان إبنه عيسو قاتلاً ومستبيحاً ! ...

ليس هذا عذراً لك ، فربما ظروفك وظروف إبنك تختلف عن حالة إسحق وعيسو. أما إن كنت قد بذلت كل جهدك فى سبيل حياة إبنك الروحية ومستقبله الأبدى ، ولكنه على الرغم من كل هذا إنحدر إلى الفساد لظروف خرجت عن إرادتك فنى هذه الحالة يكون لك عذر...

الزواج مسئولية أمام الله ...

مادام الوالدان مسئولين أمام الله عن تربية أبنائهما وتقديم حياتهما قدوة عملية صالحة أمامهم ، إذن فالزواج هو مسئولية بلا شك ...

إن الزواج ليس مجرد علاقة بين رجل وإمرأة ، وإنما هو مسئولية تحتاج إلى كفاءة وإلى مؤهلات أبوة وأمومة ...

هل يصلح هذا الرجل المتقدم للزواج لأن يكون أباً ، يربى أولاده حسناً ، و يكون قدوة صالحة لهم ؟ وهل تصلح هذه الفتاة لأن تكون أماً تربى أولادها حسناً ، وتكون قدوة صالحة لهم ؟ وهل يصلح الإثنان لأن يكونا زوجين مثاليين ، يؤسسان بيتاً مقدساً ، لا خلاف فيه ولا شجار، ولا خطأ يعثر الأولاد ؟؟

إن الأمومة والأبوة ، يحتاجان هما أيضاً إلى مؤهلات : من حيث النضوج الروحى والذهنى ، والفهم السليم لواجبات الأمومة والأبوة ، وفهم نفسية الأولاد ، والقدرة على تربيتهم .

العجيب أن كل شاب يتقدم لخطبة فتاة ، يحصر تفكيره فى نقطة واحدة وهى : هل هذه الفتاة تصلح لأن تكون رفيقة تسعد حياته ؟ دون أن يفكر فيها : هل تصلح أماً أيضاً أم لا . ونفس التفكير يكون عند الفتاة نحو خطيبها !!

وتكون النتيجة أن ينجب الزوجان بنين ، وهما لا يعرفان طريقة التربية . فإن أخطأ الإبن ، يقابلانه بالضرب ، والنرفزة والشتيمة ! ويتهمانه بالعقوق والتمرد والفساد ! ولكن ما هو واجبكما فى تربيته ؟ لا شيء ، سوى التمسك بالوصية الخامسة كأنها مصدر للسلطة دون القيام بواجبات الأبوة وبواجبات الأمومة ... !

إن الأبوة هى واجب ومسئولية ، وليست مجرد سلطة . الأبوة هى رعاية ، هى عناية ، هى إهتمام ، هى حب وعطف وحنان ، هى جهد باذل فى سبيل الأبناء حتى ينشأوا كاملين وصالحين ... وبنفس الأسلوب نتكلم عن الأمومة .

أمثلة فاضلة ...

وهنا نذكر بمزيد من الفخر **أم صموئيل النبى** ، التى ربت إبنها فى مخافة الله ، ووهبته لخدمة الهيكل . وقالت عبارتها الجميلة : « لأجل هذا الصبى صليت ، فأعطانى الرب سؤالى الذى سألته من لدنه . وأنا أيضاً قد أعرته للرب . جميع أيام حياته هو عارية للرب » (١ صم ١ : ٢٤-٢٨) .

ونذكر أيضاً فى إعجاب **أم القديس تيموثاوس** الذى أرسل إليه بولس الرسول يقول : « أذكر الإيمان العديم الرياء الذى فيك ، الذى سكن أولاً فى جدتك لوئيس وأمك إفنيكى ، ولكنى موقن أنه فيك أيضاً » (٢ تى ١ : ٥) .

وبمزيد من الفخر أيضاً نذكر **أم القديس أوغسطينوس** القديسة مونيكا التى ظلت تبكى على إبنها حوالى العشرين سنة متضرعة إلى الله من أجله ، وموصية عليه القديس امبروسيوس أسقف ميلان . حتى قال لها ذلك الأسقف البار: [إن إبن هذه الدموع لا يهلك] . وفعلاً تاب أوغسطينوس وصار قديساً بصلوات أمه ودموعها ...

ونذكر أيضاً بكل تمجيد وتقديس **أمهات الشهداء الأبرار** اللاتى ربين أولادهن فى حب الله ، وكن يشجعن أبناءهن على الموت . ومنهن من إستشهد إبناؤها على حجرها . هؤلاء القديسات كان حنانهن الروحى طاغياً على كل حنان جسدى .

ولعل من الأمثلة الرائعة فى الأمومة ، **أم موسى النبى** ... ما أعجب تأثيرها

الروحى العميق على إبنها على الرغم من ضآلة فترة الطفولة التى قضاها معها . ما هى الفترة التى قضاها موسى مع أمه ؟ إن إبنة فرعون سلمته أياها رضيعاً . وظل معها حتى فطم وكبر وإستطاع أن يمشى على رجليه ... وعندئذ أرجعته إلى إبنة فرعون فصار لها إبناً ...

ولكن هذه الأم العجيبة المتدينة ، إستطاعت فى تلك السنوات القليلة أن تشبع إبنها بكل مبادىء الدين ، وتغرس فيه كل قواعد الإيمان . حتى أن أربعين سنة قضاها موسى فى قصر فرعون بكل ما فيه من عبادة وثنية ، لم تستطع أن تنزع منه الإيمان الراسخ الذى أخذه من أمه فى سنوات طفولته الأولى ...

إنها فترة ضئيلة تلك التى عاشها مع أمه ، ولكن كم كان أعمقها . بها تأهل للخطوة الأولى من زعامته الروحية ...

وأنتِ أيتها الأم الحاضرة معنا الآن ، كم سنة قضاها إبنكِ فى رعايتكِ ، أو كم عشرات السنوات ؟ أراكِ بعد عشرين سنة من ولادته تبكين من سوء خلقه ومن شراسة طبعه !!

طوال هذه السنين التى قضاها معكِ ، ما هو التأثير الروحى الذى أخذه منك ، بخاصة عندما كان عجينة لينة فى يديك ؟!

ليتكِ تأخذين قدوة صالحة من أم موسى وغيرها من الأمهات القديسات ، حتى تعرفى حقيقة واجبكِ الروحى كأم ...

وقبل أن تسألى عن مدى طاعة إبنكِ للوصية الخامسة ، نسألك نحن : ما هو الإعداد الروحى الذى أعددت به إبنكِ ، ليكون إبناً صالحاً ينفذ هذه الوصية وغيرها من الوصايا ؟!

وما أقوله للأم ، أقوله أيضاً للأب .

ولنضع أمامنا ، قصة عالى الكاهن ، الذى لم يرب أولاده فى خوف الله . ولنخف من المصير المريع الذى تعرض له نتيجة لإهماله فى تربية أبنائه ... (١ صم ٣ : ١٠-١٤ ؛ ٤ : ١٨) .

العمل الروحى فى البيت :

وأنتم أيها الآباء والأمهات ، ما هو العمل الروحى الذى تقومون به فى بيوتكم المقدسة ، من أجل أنفسكم ، ومن أجل أولادكم ؟

هل لكم صلوات عائلية ، تجتمع فيها الأسرة كلها معاً للصلاة ، وتعودون أولادكم الصلاة من صغرهم ؟ وعلى الأقل هل أنتم تصلون من أجل أولادكم ، بمواظبة ؟

وهل تقيمون القداسات وترفعون القرابين من أجل أولادكم . إن أيوب الصديق فى العهد القديم يوبخنا جميعاً بما كان يفعله . لقد كان مواظباً على تقديم المحرقات من أجل أولاده « على عددهم كلهم » « لأن أيوب قال : ربما أخطأ بنى وجدفوا على الله فى قلوبهم . هكذا كان أيوب كل الأيام » (أى ١ : ٥) .

وهل تقرأون الكتاب ، وتشرحون قصصه لأولادكم ، وتحفظونهم آياته ؟ ... هكذا قال الرب لكل منا من جهة وصاياه : « ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك ، وقصها على أولادك ، وتكلم بها حين تجلس فى بيتك » (تث ٦ : ٦ ، ٧) فمن منكم ينفذ هذه الوصية فى بيته ؟

فى مرة من المرات أشار لى صديق على أحد الشبان ، وقال لى : إنه من عائلة طيبة . إننى أذكره منذ كان طفلاً صغيراً **وكانت أمه قديسة ، تأتى به وبأخويه معه إلى الكنيسة ، وتسجد مع أولادها الثلاثة أمام المذبح بكل خشوع** ، ولقد مرت سنوات طويلة ، وصار هذا الطفل شاباً ، ولكننى لم أنس أبداً منظر تلك الأم القديسة هى وأطفالها الثلاثة ، وهم سجود معاً بكل خشوع أمام المذبح ...

إن التربية الروحية منذ الصغر لها تأثيرها بلا شك ، خاصة فى البيت المسيحى الذى تسوده المحبة والسلام والقدوة الصالحة .

حنان جسدى لا روحى !

غلطة الوالدين أن حنانها فى غالبية الأوقات يكون حناناً جسدياً . أما الحنان الروحى فهو غير موجود .

يأتى الصوم ، فماذا يسمع الأبناء من والديهم ؟ « يا أولاد ، أنتم صحتكم ضعيفة ، فلا تصوموا » !! وماذا عن صحتهم الروحية ؟ هذه للأسف الشديد لا

تدخل مطلقاً فى برنامج تربية الوالدين لأبنائهم ! المهم أنهم يريدون لهم أن يسمنوا ، ويكبروا . كما لو كانت وظيفتهم فقط هى تربية لحوم ! أو كما لو كانوا آباء وأمهات للأجساد فقط وليس للإبن كله ، كإنسان كامل ، بجسده وروحه .

ما أجمل أن يأتى الصوم ، فتقول الأم القديسة لأولادها « يا أولادى ، لا يصح أن يمر علينا هذا الصوم بدون أن نستفيد روحياً . لازم نذل أجسادنا لكى تحيا أرواحنا وتنمو. لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ؟ . حينئذ ينظر الأولاد إلى أمهم باحترام ، ويقولون : « أمنا هذه قديسة » .

أما إن أمرتهم بعدم الصوم ، وإنضم الأب لها فى هذا الرأى ، فأية فكرة إذن سيأخذها الأبناء عن والديهم ؟ بلا شك سيحاربهم الفكر بأن والديهم بعيدان عن الحياة الروحية ، وأن همهما كله فى الجسد وشكله ونموه !!

ما أبشعها خطية أن يأخذ الإبن فكرة سيئة عن والديه ، ويقل تقديره الداخلى لهما !! ولكن ما هو السبب فى هذه الخطية ، سوى العثرة التى يراها فى حياة والديه وطريقة تفكيرهما ! ...

لماذا لا يكون الآباء روحيين ، والأمهات روحيات ؟! ما أحلى - إذا لاحظ الأب فى يوم ما أن إبنه مقصر فى واجباته الروحية - أن يقول له : « أنا شاعر يا إبنى إنك فى فتور روحى ، سأهديك كتاباً من سير القديسين قرأته قديماً وتأثرت به . أقرأه فتستفيد » أو « تعال بنا ، لنصلى معاً » ...

العجيب أن كثيراً من الشبان المتدينين والشابات المتدينات ، يجدون أن الأب والأم هما اللذان يعرقلان نموهم الروحى !! ويقفان عقبة فى طريقهم نحو الله : يعطلان صلاة الأبناء ، ويعطلان صومهم ، ويعطلان عبادتهم وتدينهم ، ويعطلان ذهابهم للاجتماعات الدينية !! ويكثران التوبيخ إذا إمتنع الأولاد عن بعض المتع التى لا تريح ضمائرهم .

ويظن هؤلاء الآباء أن تلك المتع مادامت لا تضرهم هم ولا تعثرهم ، فبالضرورة هى أيضاً لا تعثر أولادهم !! ناسين الفارق فى السن ونوع الحياة !

لست أدرى كيف سيقدم هؤلاء الآباء والأمهات حساباً أمام الله عن حياة أولادهم الروحية ؟! ...

أما عن التكريس فهو مشكلة المشاكل دائماً مع الوالدين .

الوالدان والتكريس :

عندما يريد أحد الأبناء أن يكرس نفسه لخدمة الرب ، فأول من يقف ضده هو الأب والأم !! كأنه فى طريق الاعدام أو السجن !

كل هم الأم أن تتزوج إبنتها وتستقر فى بيت . أما إن أرادت تكريس نفسها للرب ، فإن الدنيا تقوم وتقعد . وتظل الأم تضغط وتضغط ، بالأفكار تارة ، وبالبكاء تارة أخرى ، وبالتهديد مرات عديدة ... « أمكِ هاتموت . أمكِ جالها ضغط » . ويضغطون على البنت المسكينة « ها تقتلى أمكِ ، حرام عليكى » !! كل ذلك من أجل إتجاه روحى مقدس يحتاج إلى حكمة فى مواجهته لا إلى ثورة ...

ويتطور الأمر إلى خطيب يأتى ، ولا بد أن تقابله البنت ، وتحسن مقابلته ، وإلاَّ فإنها ستقتل أمها ! **والخطيب الوحيد المرفوض هو السيد المسيح** ، الذى قال عنه بولس الرسول « خطبتكم ... لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢) .

نقطة أخرى فى واجبات الوالدين وهى :

المحبة وحسن المعاملة :

أيها الآباء والأمهات ، كونوا أشخاصاً روحيين ، يحترمكم أولادكم . إكسبوا ثقتهم ، وإكسبوا تقديرهم ، بشخصيتكم الروحية ، لا بسلطانكم .

لا تظنوا أن الأبوة هى مجرد سلطة . كلا ، إنها حب وحنان وعطف ، إنها البال الطويل والقلب الواسع الذى يمرح فيه الإبن ، ويستريح . إنها البذل والتضحية ...

وإذا خلت الأبوة من حنانها ، تصبح لقباً ميتاً لا حياة فيه . وإذا إهتم الأب بمجرد السيطرة ، وأشبع فى نفسه شهوة الأمر والنهى ، لمجرد الأمر والنهى ، وإعتزازاً بمركزه فى الأسرة ، إذن فهو حاكم وسيد ، وليس أباً ...

ودلالة الأبوة على الحنان والرأفة ، هى ما قصده الرب إلهنا عندما طلب إلينا أن ندعوه : « أبانا » . وهكذا قال يوحنا الرسول : « أنظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعى أولاد الله » (١ يو ٣ : ١) . وعن هذا المعنى عينه قال داود فى المزمور :

« كما يترأف الآب على البنين ، يترأف الرب على خائفيه » (مز ١٠٣ : ١٣) .

• ومن علامات محبتكم لأولادكم ألا تضغطوا على نفسياتهم ، وأن تأمروهم فى حدود طاقتهم ، وأن تقنعوهم بأوامركم إذا بدت غريبة عليهم . لا تظنوا أن فى شيء من هذا أقلالاً لمركزكم . إجعلوا طاعتهم لكم ، يكون مصدرها من الداخل ، من إقتناع قلوبهم ، وليس بارغام من الخارج .

أنظروا لماذا يطيع الأبناء مرشديهم الروحيين أكثر من والديهم ؟ إن هذا لعدة أسباب بلا شك :

١ - لثقتهم فى روحانية هؤلاء المرشدين ، وأن كلامهم هو صوت الرب لهم . هذه الثقة التى أنصحكم باقتنائها .

٢ - لأن هؤلاء المرشدين يكلمونهم بحب لا بسيطرة ، كأصدقاء ، لا يسمعون منهم عبارة : « أنا قلت كده يعنى كده » ...

٣ - لأنهم يقنعونهم ، لا يصدرون إليهم الأوامر واجبة التنفيذ ، وإنما يشرحون الفكرة ، حتى يفهموها فينفذوها ... والكلمة القوية المقنعة مطاعة مهما كان مصدرها .

٤ - لأنهم يحترمون شخصية أولادكم وعقلياتهم . ما أحكم المثل القائل : « إن كبر إبنك ، خاويه » أى عامله كأخ .

• من علامات محبتكم لأولادكم أن تمنحوهم حرية تحت رقابتكم . الله نفسه يمنحنا الحرية ولا يجعلنا مسيرين . لذلك :

لا ترغموا أولادكم فيما يتعلق بزيجتهم . إنصحوهم ، ولكن لا ترغموهم . لا بد أن يوافق كل منهم على من يقضى معه فترة العمر كلها .

لا ترغموهم فيما يختص بمستقبلهم . إنصحوهم ، ولكن لا ترغموهم . كل منهم له إتجاهه الخاص الذى يتفق ونفسيته وعقليته ومواهبه ...

أعطوهم حرية فى تدينهم . وتأكدوا أن تدينهم مفيد لهم ولكم ، على الأرض وفى السماء . ولا تقفوا عقبة فى حياتهم الروحية ، لئلا تفقدوهم .

الفصل الخامس

حدود إكرام الوالدين

إلى أى حد يكرم الإنسان والديه ! إن كانت هناك حدود معينة ، فما هى ؟ للإجابة على هذا السؤال نقول أنه يجب على الإنسان أن يحب والديه و يكرمهما إلى آخر ما تصل إليه إمكانياته . ولكن عليه ألا تصطدم محبته بوالديه بمقدسات أخرى . فمحبتها :

١ ـ لا تكون أزيد من محبته لله :

وهذا الأمر تحدث عنه الرب بصراحة فقال : « **من أحب أباً أو أماً أكثر منى ، فلا يستقحنى ...** » (مت ١٠ : ٣٥ ـ ٣٧) .

إذن تحب أباك وأمك ، ولكن . إن اصطدمت محبتها بمحبتك لله ، فإنك تصغى حينئذ إلى قول الرب : « **إن كان أحد يأتى إلىَّ ولا يبغض أباه وأمه و... حتى نفسه أيضاً ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً** » (لو ١٤ : ٢٦) طبعاً يحدث هذا إن كان أبوك وأمك يبعدانك عن طريق الرب ، أو إن كانا ضد الله أو ضد عمله .

فمن أجل الله ومحبته ، يجب أن تطرح جانباً كل محبة أخرى . يمكن أن تترك الأب والأم والأقارب جميعاً . وفى ذلك قال الرب : « **الحق أقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أماً ... لأجلى ولأجل الإنجيل ، إلاّ ويأخذ مائة ضعف** الآن ... وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية » (مر ١٠ : ٢٩ ـ ٣٠) .

إن محبة الله يجب أن توضع فوق كل محبة أخرى . ومحبة الوالدين يجب أن تكون داخل محبة الله . فلا يصح أن نكرم أباً على حساب محبة الله ، أو أن تجامل أباً بكسر وصية من وصايا الله . ولا تشترك معه فى الباطل . وسنضرب لذلك مثلاً من الكتاب المقدس ومثلاً من تاريخ الكنيسة :

يوناثان البار يوبخ أباه شاول :

أحب يوناثان داود ، وكان شاول الملك أبو يوناثان يحسد داود و يشتهى قتله

والتخلص منه . وكم من مرة حاول ذلك . أما يوناثان فعمل كل جهده على إنقاذ داود .

رأى يوناثان أن الحق فى جانب ، وأباه فى جانب آخر . فوقف إلى جوار الحق ، ضد أبيه . ولم يتملق أباه ، بل وبخه وجاهد لتحطيم خطط أبيه الشريرة

فى إحدى المرات « كلم شاول يوناثان إبنه وجميع عبيده أن يقتلوا داود » . فلم ينفذ يوناثان هذا الأمر . ولم ينضم لأبيه فى رأيه ولا فى خطته . بل على العكس « تكلم يوناثان عن داود حسناً مع شاول أبيه . وقال له : لا يخطىء الملك إلى عبده داود لأنه لم يخطىء إليك ، ولأن أعماله حسنة لك جداً ... لماذا تخطىء إلى دم برىء بقتل داود بلا سبب » (١ صم ١٩ : ١-٧) .

وهكذا بين يوناثان لأبيه خطأه فى حق داود . ومدح داود أمامه ولم يخف . واقنعه حتى رجع فى تلك المرة عن فعله ولم يقتل داود ... ولم يتملق أباه ...

وأقام يوناثان عهداً مع داود ، وهو يعلم أن أباه يكرهه ، وإتفق معه على خطة سرية تنقذه من أبيه ، ودافع عنه أمام أبيه حتى غضب أبوه منه ، وقال له : « يا إبن المتعوجة المتمردة ، أما علمت أنك قد أخترت إبن يسى لخزيك ... لأنه مادام حياً على الأرض لا تثبت أنت ولا مملكتك . والآن أرسل وأت به إلىَّ ، لأنه إبن الموت هو » .

ولكن يوناثان صمد أمام غضب أبيه ، وهاجم قرارات أبيه مرة أخرى ، حتى ثار أبوه وكاد أن يقتله ...

وفى ذلك يقول الكتاب : « فأجاب يوناثان شاول أباه وقال له : لماذا يُقتل (داود) ؟ ماذا عمل ؟! فصابى شاول الرمح نحوه ليطعنه . فعلم يوناثان أن أباه قد عزم على قتل داود . فقام يوناثان عن المائدة بحمو غضب ولم يأكل خبزاً ... » (١ صم ٢٠ : ٣٠- ٣٤) وذهب يوناثان فأخبر داود ، وأنقذه « وقبّل كل منهما صاحبه وبكى » . وقال يوناثان لداود : إذهب بسلام ...

وهكذا نرى أن يوناثان البار ، قد بكت أباه ، وشرح له خطأه ، ودافع أمامه بكل شجاعة عن داود الذى يكرهه أبوه . وتعرض لغضب أبيه وثورته . وبذل كل جهده حتى أفسد خطة أبيه فى قتل داود .

أكانت الوصية الخامسة تلزم يوناثان أن يشترك مع أبيه فى قتل داود ، أو على الأقل يصمت ولا يعارض أباه ؟!! كلا . بلا شك . لو فعل يوناثان كذلك ـ بفهم خاطىء للوصية ـ لأخطأ إلى الله ، وإلى داود ، وإلى نفسه ، وإلى شاول أبيه ...

الملك سليمان وأمه :

مثال آخر من الكتاب المقدس ، وهو ما حدث بين سليمان الملك وأمه . جاءت أمه إليه ، فقابلها بكل إحترام ، وقام عن كرسيه وسجد لها ، ثم أجلسها إلى جواره . فقالت له : « إنما أسألك سؤالاً واحداً صغيراً ، لا تردنى » فأجابها : « إسألى يا أمى لا أردك » . فطلبت منه أمه طلباً ضد الشريعة ، طلبت أن تعطى ابيشج الشونمية زوجة لأخيه ادونيا . وكانت أبشيج تعتبر زوجة لأبيها داود ، أو بمثابة ذلك ...

وعلى الرغم من الإحترام العظيم الذى قابل به سليمان أمه ، فإنه لم يجبها فى وساطتها لأدونيا ، بل أمر بقتله .

وهكذا قال سليمان : « ... قد تكلم أدونيا بهذا الكلام ضد نفسه . والآن حى هو الرب ... إنه يُقتل أدونيا » (١ مل ٢ : ١٩ ـ ٢٤) .

القديسة دميانة توبخ أباها :

هذه القديسة العظيمة كان أبوها مرقس والياً على البرلس والزعفران فى عهد الملك ديوقلديانوس الكافر . ونتيجة لضغط الملك ، بخر مرقس الوالى للأصنام .

فلما رجع إلى ولايته ، وعلمت إبنته بخبره ، دخلت عليه مغضبه . ووبخته توبيخاً شديداً ، وقالت له إنها تتبرأ من أبوته ، وإنه كان الأفضل لو رأته ميتا ...

ونتيجة لهذا التوبيخ الشديد أفاق أبوها من غفلته ، بكته ضميره ، فرجع إلى ديوقلديانوس ، وإعترف بالسيد المسيح ، ومات شهيداً وإنضم إلى القديسين .

ولم يكن توبيخ إبنته دميانة له كسراً للوصية الخامسة ، بل أنقاذاً لحياته من الهلاك الأبدى .

قلنا إنه من حدود إكرام الوالدين ، أن هذا الإكرام لا يتعارض مع محبة الله . نضيف نقطة أخرى هى :

٢ ـ حفظ حقوق الزوجية :

يقول الكتاب : « يترك الرجل أباه وأمه و يلتصق بإمرأته » (تك ٢ : ٢٤ ، مت ١٩ : ٥ ، أف ٥ : ٣١) . فلا يصح أن يضحى الرجل بزوجته إكراماً لأبيه وأمه . إنى أنصح باستمرار ، من أجل سلامة الأسرة ، أن يسكن كل زوجين جديدين فى بيت مستقل ، بعيداً عن الإحتكاك بالأب والأم .

فالأم التى تحب أن يظل إبنها فى حضنها وبيتها بعد أن يتزوج ، هى أم تكسر الوصية القائلة : « يترك الرجل أباه وأمه و يلتصق بإمرأته » .

فإن سكن الإبن وحده ، وظلت أمه تعيره بأنه إبن عاق ، وأنه ترك أمه ونسى تعبها فيه ! فهذا الكلام لا يصح أن يقال . بل الأم الحكيمة هى التى تساعد أولادها و بناتها على الإرتباط بأزواجهم .

الأم الحكيمة إذا أتتها إبنتها غضبانة من زوجها ، لكى تقيم معها فى البيت ، تقول لها : « لا يا بنتى ، بيتكِ هو بيت زوجكِ . إرجعى إلى زوجكِ وإصطلحى معه لأن . الكتاب المقدس يأمرك أن تتركى الأب والأم وتلتصق بزوجك » . إن الحنان الزائف الذى تبديه الأم نحو إبنتها فى تشجيعها على ترك بيت زوجها ، هو سبب من الأسباب الجوهر ية فى كثير من مشاكل الأحوال الشخصية .

وكذلك فإن الرجل الذى يحب أمه أكثر من زوجته ، ويخرب بيته من أجل طاعة الأم ، هو أيضاً لا ينفذ وصية : « يترك الرجل أباه وأمه و يلتصق بإمرأته » .

ولكن ليس معنى هذا أن تستغل الزوجة هذه الآية فى جهل ، وتوغر قلب زوجها ضد أبيه وأمه ... وتقول له الكتاب يقول : « يترك الرجل أباه وأمه و يلتصق بإمرأته » . وهذه التى تقسى قلب زوجها ضد أبيه وأمه ، لا تظنوا مطلقاً أنه سيحبها أكثر من والديه . لأن محبة الوالدين هى محبة طبيعية تجرى فى الدم . أما محبة الزوجة فهى محبة مكتسبة تأتى بالخلطة والمعاشرة . والشخص الذى لا خير فيه لأبيه وأمه ، لا خير فيه أيضاً لزوجته .

أما قول الكتاب : « يترك أباه وأمه » . فالقصد منها بتركهما من جهة المسكن ، ولكن لا يتركهما من جهة المحبة والاحترام والعرفان بالجميل ، ولا من جهة الإعالة أيضاً فى حدود إمكانياته ...

الفصل السادس

أنواع أخرى من الأبوة

أقارب فى مستوى الأبوين :

الوصية الخاصة بإكرام الوالدين لا تنطبق عليهما وحدهما ، بل على من هم فى مستواهم أيضاً ، مثل العم والخال ، والعمة والخالة ، والأجداد طبعاً لأنهم آباء الآباء .

والحماه تعتبر أماً ويسمونها بالإنجليزية Mother in Law .
وكذلك الصهر يعتبر أباً ، ويسمونه Father in law .

صدقونى ، لو أن كل زوجة عاملت أم زوجها كأنها أمها ، وحماتها نظرت إليها كإبنتها ، لزالت تلك المشكلة تماماً ...

وعلى العموم ، فإن كل الأقارب الذين هم أعلى منك درجة ، وأكبر منك سناً ، عاملهم كآباء وأمهات . ولسنا فى حاجة إلى كتابة قائمة طويلة بكل هؤلاء الأقارب . والأخ الأكبر ينبغى أن تعامله باحترام ، وكذلك الأخت الكبرى .

هناك أنواع أخرى من الأبوة ، خارج القرابة الجسدية ، من أمثلتها :

الأبوة الروحية ، واحترام الكهنة والقديسين

كما أن لنا آباء وأمهات بالجسد ، كذلك أعطانا الله أماً روحية وهى الكنيسة ، وآباء روحيين هم الأنبياء والرسل والأساقفة والكهنة ، والقديسون عموماً ...

أمثلة من الأبوة الروحية :

إبراهيم أبو الآباء دعى أباً لجميعنا « ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم فى الغرلة » مع أنهم ليسوا من نسله بالجسد . « أباً لأمم كثيرة ... ليس لمن هو من الناموس فقط ، بل أيضاً لمن هو من إيمان إبراهيم الذى هو أب لجميعنا » (رو ٤ : ١١ - ١٦) . اليشع النبى عندما رأى إيليا النبى صاعداً إلى السماء صرخ قائلاً : « يا أبى يا أبى ، مركبة إسرائيل وفرسانها » (٢ مل ٢ : ١٢) .

وبنفس هذا النداء أيضاً خاطب يوآش الملك اليشع النبى (٢ مل ١٣ : ١٤) وكان اليشع وإيليا بتولين ، ولكنها أبوة روحية .

وعن هذه الأبوة الروحية يرسل بولس الرسول إلى فليمون من جهة انسيموس فيقول : « أطلب إليك لأجل إبنى انسيموس الذى ولدته فى قيودى » (فى ١٠) . وبولس الرسول كان بتولاً ، وأبوته لانسيموس هى أبوة روحية ، وكذلك أبوته لتيموثاوس ، الذى قال عنه : « تيموثاوس الإبن الصريح فى الإيمان » (١ تى ١ : ٢) وأيضاً : « تيموثاوس الإبن الحبيب » (٢ تى ٢ : ٢) .

وعن هذه الأبوة الروحية أرسل بولس الرسول إلى أهل غلاطية يقول لهم : **« يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضاً »** (غل ٤ : ١٩) كما أرسل إلى أهل كورنثوس يقول : « ... كأولادى الأحباء أنذركم . لأنه وإن كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح . لكن ليس آباء كثيرون ، **لأنى أنا ولدتكم فى المسيح يسوع بالإنجيل .** لذلك أرسلت إليكم تيموثاوس الذى هو إبنى الحبيب ... » (١ كو ٤ : ١٤ - ١٧) .

ويوحنا الرسول - وهو بتول أيضاً - تحدث عن أبوته الروحية ، فكتب يقول : « يا أولادى ، أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا » (١ يو ٢ : ٢) . « ليس لى فرح أعظم من هذا ، أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق » (٣ يو ٤) .

والدسقولية تقول فى بابها السادس عن الأسقف أنه : « أبوكم بعد الله » . والكنيسة تقول عن القديسين فى المجمع : « آباءنا القديسين » . ونقول فى أوشية الراقدين : « أطلبوا عن آبائنا وإخوتنا الذين رقدوا ... آبائنا القديسين رؤساء الأساقفة ، وآبائنا الأساقفة ، وآبائنا القمامصة ، وآبائنا القسوس ، وآبائنا الرهبان ... » .

ومن إعتزاز الكنيسة بلقب الأبوة الذى يدل على غاية الحنان والحب ، تسمى رئيس الأحبار « البابا » . وتطلق على الأساقفة لقب « أنبا » أى (أب) .

ذلك لأن المحبة التى يحملها لقب الأبوة هى الدعامة الأولى للرعاية والخدمة .

الأبوة أعمق تأثيراً من السيادة (١) ...

مع إعترافنا بأن الأسقف سيد ورئيس وملك وراع كما تدعوه الدسقولية ، إلاَّ أننا

(١) نقلناها عن (الكرازة) من العددين ٤ ، ٥ سنة ١٩٦٦ م .

عندما نقول : « أبونا الأسقف » و« أبونا المطران » و« أبونا البطريرك » ، إنما يتملكنا إحساس قوى بعاطفة أعمق بكثير من رسميات الرئاسة والسلطة . يكفى أن الله ذاته نناديه قائلين : « أبانا » دون أى إنقاص من سلطته علينا .

وأنت يا الأب الأسقف ، عندما تنسى إنك رئيس وسيد ، وتذكر فقط أنك أب تجمع أولادك فى حضنك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ، حينئذ ستعيش فى جو من المحبة ، وتربطك بأولادك المحبة أكثر من الخضوع .

من حقك أن تأمر فتطاع . ولكن حسن آن تنسى سلطانك ، وأن يطيعك الناس حباً فيك لا خوفاً منك ، وطلباً لبركاتك ورضاك لا إتقاء لعقوباتك وسلطة كهنوتك .

بالحب تكسب نوعاً آخر من الخضوع هو خضوع الثقة ورضا القلب ...

وما أجمل قول الكتاب :

" إن صرت اليوم عبداً لهذا الشعب ، وخدمتهم وأجبتهم ، وكلمتهم كلاماً حسناً ، يكونون لك عبيداً كل الأيام " (١مل ١٢: ٧)

ليست أبوة الرعاة لقباً رسمياً ، بقدر ما هى حالة من الحب والعناية والعطف ، يلمسها عملياً كل من يتصل بالراعى عن قرب أو بُعد . فالراعى هو القلب الواسع الكبير ، الذى يلجأ إليه الجميع ، فيجدون عنده حلاً لمشاكلهم ، أو على الأقل عزاءاً فى ضيقاتهم ...

الراعى الحقيقى يدخل مدرسة الحب قبل مدرسة الخدمة . **يتخذه الناس أباً عن جدارة لا عن وظيفة .** حتى إن قلت مواهبه ، تعوضها محبته ...

إن السيادة الحقيقية للراعى هى سيادته على القلوب بالمحبة ، ولا يصح أن تأخذ مظهراً عالمياً ينحرف بها إلى حب السيادة والتسلط !! إن عمله هو كسب النفوس للرب ، وليس كسب طاعتهم وخضوعهم لشخصه !

وما أسهل أن يحاول الراعى تبرير موقفه ، بأنه يقول : « لست أبحث عن كرامتى ، وإنما عن كرامة الكهنوت » !! **إنه فهم خاطىء لكرامة الكهنوت . فالسيد المسيح لم يفقد كرامته ، عندما إنحنى وغسل أرجل تلاميذه ،** بل إزدادت كرامته فى أعيننا بخدمته لنا .

إن كنت تبيت مسروراً ، حينما تخضع غيرك لسلطانك الكهنوتى ، وتذله تحت قدميك ، إذن فأنت مجرد سيد ولست أباً . **أما إن كنت أباً بالحقيقة ، فلن يغمض لك جفن ، إن قهرت إبنك وأذللته ، وبات بسببك متعباً ... !**

الطاعة والخضوع أمران سهلان ، ولكن أهم منهما المحبة والاحترام .

الراعى المحب يقنع أولاده بحكمة أوامره ، كما كان الرب يشرح و يفسر . وطريق الاقناع طويل ، ولكنه أثبت وأنفع . **أما طريق السلطة ، فقصير ومختصر ولكنه خطر وغير ثابت . إنه يمكن أن يسير الأمور إلى حين ، ولكنه لا يرضى قلب الخاضع ، ولا يخلص نفس الآمر!**

وقد يكسب الراعى خضوع الناس ، دون أن يكسب توقيرهم وتقديرهم . وقد ينال إحترامهم لوظيفته ، دون شخصه . أما الذين خلدوا ، فهم الذين وقرهم الناس وأحبهم الله ، لأشخاصهم ، مهما كانت وظائفهم ضئيلة ...

محبة متبادلة :

إذا خلت الرعاية من المحبة ، فقدت أقوى دعائمها . بدون المحبة التى تربط الأب الروحى بأولاده ، لا يستطيع أن يعمل شيئاً لأجل خلاصهم ولفائدتهم الروحية .

بالمحبة يفتحون له قلوبهم ، وبالمحبة يعرف إحتياجاتهم الروحية . فتكون خدمته لهم واقعية عملية تتصل بهم عن قرب .

و بالمحبة يقبلون ما يقترحه من حلول لمشاكلهم . و بذلك تسهل خدمته . و بالمحبة يمكن للأبناء الروحيين أن يقبلوا من أبيهم الروحى التوبيخ والإنتهار والتأديب ، بل العقوبة أيضاً . لأنهم يعلمون أنه ليس بقسوة يعاملهم . فى كل شدة يتخذها ، إن اضطر إلى ذلك ، و يضعون أمامهم قول الكتاب : « أمينة هى جراح المحب » (أم ٢٧ : ٦) . و بالعكس إن لم يكسب محبتهم ، ينظرون إلى تأديبه نظرة عداء ...

و بالمحبة يمكن للأبناء الروحيين أن يكلموا أباهم بصراحة تامة ، حتى النقد لا يخافون من مواجهته به بدالة و بإخلاص . عارفين أنه لا يتضايق من الصراحة ، وأنه قلب كبير يتسع لكل كلامهم ولكل أفكارهم وأيضاً لكل ما يحاربهم به العدو نحوه من شكوك . وكما قال الرسول أن المحبة تطرد الخوف إلى خارج (١ يو ٤ : ١٨) .

أمثلة من سير القديسين :

هذه المحبة وجدنا لها أمثلة كثيرة فى سير القديسين ، ظهرت فى إلتفاف الرعية نحو راعيها باستمرار . كما حدث فى إلتفاف الشعب حول أبيهم القديس أثناسيوس الرسولى فى كل ضيقاته وفى كل مرة نُفىَّ فيها عن كرسيه . ومن أمثلتها المحبة التى قوبل بها ذهبى الفم . والمحبة التى قوبل بها القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية الذى عزم شعب رومة على إختطافه حتى لا يلقى طعاماً للأسود ...

ومن أمثلة هذه المحبة العجيبة ما تمتع به بولس الرسول من أولاده الذين قال لهم مرة : « لأنى أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتمونى » (غل ٤ : ١٥) . هذه المحبة ظهرت فى الوداع المؤثر الذى حدث فى ميليتس حيث يقول الكتاب : وكان بكاء عظيم من الجميع . ووعقوا على عنق بولس يقبلونه ، متوجعين ولا سيما من الكلمة التى قالها أنهم لن يروا ووجهه أيضاً » (أع ٢٠ : ٣٧ ، ٣٨) .

.ما أعمق كلمات المحبة العاطفية التى تتضح كمثال رائع فى ما ورد فى رسالة بولس الرسول إلى رومية حيث يقول :

« سلموا على بريسكلا وإكيلا العاملين معى فى المسيح يسوع **اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتى** ... سلموا على ابينتوس **حبيبى** التى هو باكورة أخائية للمسيح . سلموا على امبلياس **حبيبى فى الرب . وعلى استاخيس حبيبى** . سلموا على **برسيس المحبوبة** التى تعبت كثيراً فى الرب . سلموا على روفس المختار فى الرب وعلى **أمه أمى** ... » (رو ١٦ : ٣ - ١٦) .

كثيرون وكثيرات يذكرهم بولس بالإسم بعبارات عاطفية ، كم مرة وصفهم بكلمة حبيبى ، وبكلمة المحبوبة ، وشكرهم على تعبهم من أجل الرب ومن أجله ، ووضعهم أعناقهم من أجل حياته ...

إنه الحب العجيب الذى يربطهم به ، وبنفس الأسلوب كان يتكلم عن أبنائه المحبوبين من الأساقفة ، مثل تيموثاوس « الإبن الحبيب » (٢ تى ١ : ٢) .

بنفس أسلوب المحبة عاش يوحنا الرسول مع أولاده . يبدأ رسالته الثانية بقول : « الشيخ إلى كيريه المختارة وإلى أولادها الذين أنا أحبهم بالحق » . ويبدأ رسالته

الثالثة بقوله : « الشيخ إلى غايس الحبيب ، الذى أنا أحبه بالحق . أيها الحبيب فى كل شيء أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً ، كما أن نفسك ناجحة » .

هذه المحبة مع الأبناء الروحيين تعلمها الرسل القديسون من الرب نفسه ، من عظم محبته لأولاده ، من المسيح الحنون المحب الذى بلغ من محبته أن إستطاع يوحنا أن يتكيء على صدره ، يُلقب بلقب : « التلميذ الذى يسوع يحبه » . و بلغ من محبته للناس أن استطاعت المرأة الخاطئة أن تبل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها . وقال الرب عنها أن خطاياها الكثيرة قد غفرت لها لأنها أحب كثيراً . (لو ٧ : ٤٧) .

يسوع إلهنا المحب ، الذى أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم حتى المنتهى (يو١٣ : ١) . ومن أجل الحب بذل ذاته عنهم ، ومن أجل الحب ظهر لهم بعد القيامة يقويهم و يثبتهم فى الإيمان . هذا الحب الذى جعل الأطفال يلتفون حوله ، ويهتفون عند دخوله أورشليم ، ونساء كثيرات يتبعنه من الجليل ويخدمنه (مت ٢٧ : ٥٥) . وهذا الحب الذى جعل بنات أورشليم يبكين عليه (لو٢٣ : ٢٨) .

كان الرب يسوع محبوباً وكان تلاميذه محبوبين . وكان خلفاؤهم الأساقفة محبوبين . وكان هذا الحب الذى يربط الأبوة الروحية بالأبناء هو الدعامة الأساسية للرعاية ...

إن ذكرت إذن كلمة « أب » ينبغى أن نذكر إلى جوارها نواحى محبته العملية . أما كلمة أب - بدون حب يظهر عملياً - فهى مجرد لقب لا روح فيه ولا يدل على شيء . الناس ينتظرون من الآباء الروحيين أن نظهروا أبوتهم بمحبتهم العملية وبحنانهم

أما الأبوة التى تطلب أكثر ما تعطى . وتوبخ أكثر مما تعزى ، وتجرح أكثر مما تربح ، فإنها محتاجة أن تراجع نفسها ، وتسعى لتكسب الحب الذى ليس هو وظيفة رسمية وإنما هو حنان وعطف و بذل ...

إحترام القديسين وتوقيرهم :

إن إكرام الآباء ينطبق أيضاً على القديسين الذين رقدوا ، سواء منهم الآباء الشهداء ، أو أبطال الإيمان ، أو قديسو البرارى والرهبنة ، أو الآباء الرعاة ...

وهؤلاء نكرمهم ببناء الكنائس على أسمائهم ، وبإقامة الأعياد لهم ، وبذكرهم فى تسابيحنا وصلواتنا ، وبنشر سيرتهم العطرة وسط الناس . وبقراءتها فى سنكسار اليوم على المصلين ، والإحتفاظ بأيقوناتهم فى كنائسنا وبصورهم فى بيوتنا ...

ونكرم القديسين أيضاً بأطلاق أسمائهم على أبنائنا ، وعلى جمعياتنا ومجلاتنا ومعاهدنا ومؤسساتنا . ونكرمهم بدوام تذكرهم والإستشفاع بهم ، كما نكرمهم بالاهتمام بأجسادهم وعظامهم .

ونكرم القديسين بالأكثر بإتباع تعاليمهم وبنشرها ، والإقتداء العملى بحياتهم .

أبوة السن ، واحترام الشيخوخة

هناك من هو فى مركز أبيك من جهة القرابة الجسدية ، وعليك أن تحترمه وتوقره . وهناك من هو فى مركز أبيك من جهة السن ، وعليك أيضاً أن تحترمه وتوقره . وعلى العموم ينبغى أن تحترم من هم أكبر منك سناً ...

نرى مثلاً لاحترام السن وتوقير الشيوخ فى قصة أيوب الصديق . كان لأيوب ثلاثة أصحاب هم اليفاز وبلدد وصوفر . وكان هناك صديق رابع إسمه اليهو . وظل الثلاثة يناقشون أيوب ٢٨ أصحاحاً . واليهو صامت ، يسمع وهو ساكت ، لأنهم أكبر منه سناً ، وأخيراً عندما فشلوا فى نقاشهم ، اضطر اليهو أن يتدخل ...

وبدأ اليهو كلامه بقوله : « أنا صغير فى الأيام وأنتم شيوخ . لأجل ذلك خفت وخشيت أن أبدى لكم رأيى . قلت الأيام تتكلم وكثرة السنين تُظهر حكمة » (أى ٣٢ : ٦ ، ٧) .

نستطيع أن نأخذ من هذا الموقف تعليماً ، أن الصغير ينبغى أن يصمت وسط

الكبار . يجلس ليسمع و يفهم و يتعلم . وهذا موجود فى أنظمة الرهبنة ، حيث لا يجوز للراهب المبتدىء أن يتكلم فى مجمع الشيوخ .

لذلك قيل : لا تلق بكلمتك وسط الكبار . وإنْ سُئل شخص كبير ولم يعرف ، فالأدب يمنع الصغير من أن يقول الإجابة وإن كان يعرفها . لا يصح للصغير أيضاً أن يرفع صوته فى وجه من هو أكبر منه ، بل يكلمه باحترام .

بولس الرسول نفسه قال لتلميذه القديس تيموثاوس الأسقف ـ وكان صغير السن ـ منبهاً إلى إحترام الشيوخ ، « **لا تزجر شيخاً ، بل عظه كأب** ، والأحداث كأخوة ، والعجائز كأمهات ... » (١ تى ٥ : ١ ، ٢) فإن كان تيموثاوس الأسقف ، مفروض فيه أن يعامل الشيوخ كآباء والعجائز كأمهات فبالأولى الفرد العادى من الشعب ...

ونفس هذا الاحترام سلك به بولس نفسه نحو العجائز . فقال فى رسالته إلى رومية (رو١٦ : ١٣) « سلموا على روفس المختار فى الرب ، وعلى أمه أمى » . فسماها أمه مع أنها من الناحية الروحية تعتبر من بناته .

وهكذا من جهة السن أيضاً اُعتبر مرقس الرسول أبناً لبطرس . فقال عنه : « مرقس إبنى » (١ بط ٥ : ١٣) .

لقد دعانا الرب أن نتخذ المتكأ الأخير فى الولائم (لو١٤ : ١٠) . **هذا المتكأ الأخير ينبغى أن نتخذه مع كل من هو أكبر منا .** فقال الكتاب : « من أمام الأشيب تقوم ، وتحترم وجه الشيخ » (لا ١٩ : ٣٢) .

لا يصح أن تجلس ، وشخص أكبر منك واقف . ولتكن جلستك مهذبة أمام من هو أكبر منك . لا يصح أيضاً أن تجلس وتعطى ظهرك لمن هو أكبر منك .

وإن كنت سائراً مع شخص أكبر منك . وهو يحمل حملاً ، فأحمله بدلاً منه ...

وهكذا إحترم الكبار فى أسلوبك أيضاً فى الكلام ، وفى كل شيء قدمهم على نفسك .

كل هذا عن الاحترام ، أما عن الطاعة ، ففى حياتك الروحية تطيع أباك الروحى ومن تكون عنده المعرفة والحكمة بغض النظر عن السن ، فقد يوجد شيوخ مخطئون وأمثلتهم كثيرة فى الكتاب (١ مل ٢ : ٦ ، ٩ ؛ أى ٣٢ : ٩ ؛ يو٨ : ٩ ؛ مز١١٩ : ١٠٠ ؛ جا٤ : ١٣) . وقد يوجد شباب حكماء كيوسف ودانيال وأثناسيوس الرسولى ...

أبوة المركز ، واحترام المعلمين والرؤساء

أبوة المركز والرعاية والمسئولية وضحها الكتاب المقدس فى مناسبات عديدة . فمن جهة الرعاية ، قال أيوب الصديق : « أب أنا للفقراء » (أى ٢٩ : ١٦) ولما تولى يوسف الصديق الاشراف على بيت فرعون ، قال إن الله : « قد جعلنى أباً لفرعون » (تك ٤٥ : ٨) . كذلك فإن عبيد نعمان السريانى ـ عندما تضايق من الإغتسال فى الأردن ليبرأ ـ قالوا له : « يا أبانا ، لو قال لك النبى أمراً عظيماً ، أما كنت تفعله » (٢ مل ٥ : ١٣) فدعوه « أبانا » من جهة المركز.

ولعله من هذا القبيل ، قال دواد لشاول الملك « أنظر يا أبى أنظر أيضاً طرف جبتك بيدى » (١ صم ٢٤ : ١١) ، تعبيراً تمتزج فيه أبوة المركز بأبوة السن ...

من هذه الناحية تنطبق الوصية الخامسة على الرؤساء ، وعلى المعلمين ، وكل من لهم رعاية وأشراف على الإنسان .

فالطالب الذى لا يكرم مدرسه أو لا يطيعه أو يشاغب فى فصله ، أو يكسر قوانين المدرسة ، إنما يكسر الوصية الخامسة . وبالمثل المواطن الذى لا يطيع نظم الدولة .

من هنا نرى الإتساع الكبير الذى سملته وصية « إكرم أباك وأمك » .

أما طول الأيام على الأرض ، فقد تؤخذ بالمعنى الحرفى أى طول الأعمار ، أو قد تؤخذ بشىء من التأمل عن الأبدية فى « أرض الأحياء » (مز ٢٧ : ١٣) .





باسم الآب والإبن والروح القدس

الإله الواحد أمين

إكرم أباك وأمك .

أول وصية في العلاقات البشرية ، وأول وصية بوعد .

كيف نكرم الوالدين ؟ وهل هناك حدود لإكرامهما ؟

ما هى شروط الطاعة ، وكيف تكون طاعة فى الرب ؟

ما هى أنواع الأبوة ؟ أبوة الله أولاً ...

الأبوة الطبيعية ، والأبوة الروحية، وأبوة السن، وأبوة المركز ..

هذه بعض من الموضوعات التى يحدثك عنها هذا الكتاب.

ليت الله يعمل فيه لأجل حياتك .

البابا شنوده الثالث

